مقدمة السيرة النبوية والنتائج والعبر المستفادة منها

إعداد/أبو رشد تيسوت بن راشد بن تيسوت الراسبي

عفى الله عنه بمنه وكرمه

(١٤٢٥هـ-٢٠٠٤)

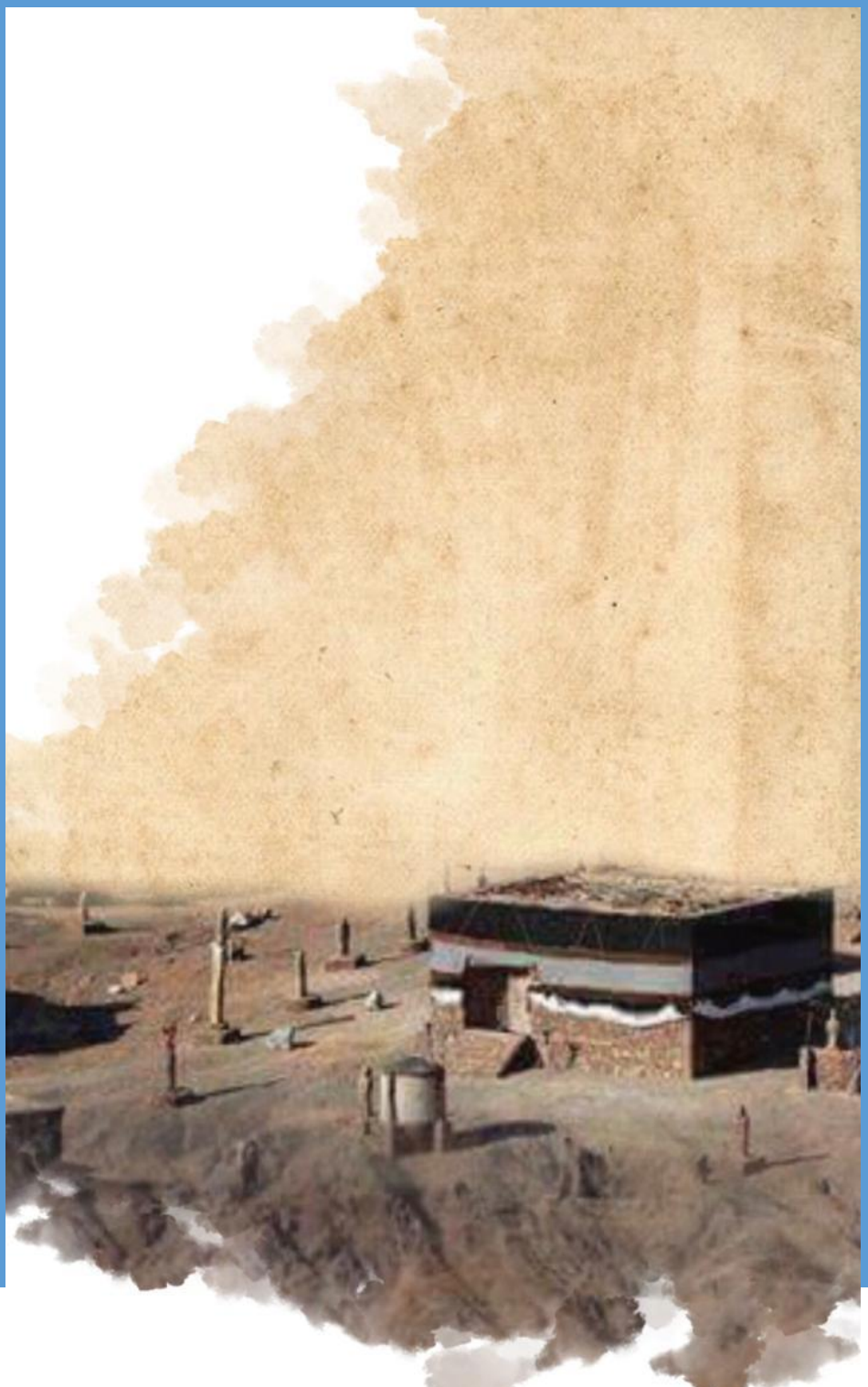

السيرة النبوية تجمع عدة مزايا تجعل دراستها متعة روحية وعقلية وتاريخية، كما تجعل هذه الدراسة ضرورية لعلماء الشريعة والدعاة إلى الله والمهتمين بالإصلاح الاجتماعي ليضمنوا إبلاغ الشريعة إلى الناس بإسلوب يجعلهم يرون فيها المعتصم الذي يلوذون به عند اضطراب السبل واشتداد العواصف، ،وتفتح أمام الدعاة قلوب الناس وأفئدتهم، ويكون الإصلاح الذي يدعو إليه المصلحون، أقرب نجاحاً وأكثر سداداً.

فالسيرة النبوية مفتاح معرفة الشريعة، ونبراس مظان الأدلة الفقيه، بمختلف فروعها السياسية والاجتماعية، والاقتصادية، والأخلاقية، فهي تحكي عن حياة النبي ﷺ الذي قال عنه ربنا (وإنك لعلى خلق عظيم.

فدراسة السيرة النبوية، هي الطريق لمعرفة الشريعة الإسلامية.

مقدمة

السيرة النبويَّة والنتائجَ والعِبَر المستفادة مِنْهَا

أعداد/ تيتون بن راشد بن تيتون الراسبي

أبو راشد

عفا الله عنه بمَنِّهِ وكرمه

(١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)

ضوابط السيرة النبوية ومراجعها.

إن الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.
أما بعد:

فإن السيرة النبوية لها أهمية عظيمة للمسلم عامة ولطالب العلم خاصة، فلا بد أن نذكر بعض التعريفات والمصطلحات والضوابط التي عَني بها أهل العلم – رحمهم الله–.

وهذه الضوابط ربما انتفع بها الجميع وخص بالانتفاع بها من كان له صلة بالعلم والسنَّة والسيرة وبالدعوة والإرشاد، ولا شك أن سيرة المصطفى ﷺ اهتم بها العلماء قديماً وحديثاً، ذلك بهدي المصطفىﷺ تتبين الأشياء قال لنا جل وعلا: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١] فالاهتمام بالسيرة فلا بد منه، والاهتمام بمعرفة أحواله – عليه الصلاة والسلام– من ولادته إلى وفاته ﷺ.
وبالسيرة يعلم المسلم ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته من نشر الدين؛ وما كابدوا فيه، وأنهم بذلوا ما بذلوا وتركوا الأمة بعدهم على أمرٍ واضحٌ بيّنٌ، ولم ينتشر الإسلام بسهولةٍ، بل بذل فيه أصحابه الكرام ما بذلوا، وهذا ظهر لك في السيرة جليّاً؛ ومن أوجه الاهتمام بالسيرة أيضاً أنَّ معرفة سيرة المصطفى عليه السلام، وإن معرفة سيرة الصحابة معه ﷺ ؛ يبعث في قلوب أهل الإيمان القوة في الإيمان، والقوة في اليقين، وأنهم مهما تكابدت عليهم الأمور ومهما قوي الشيطان وجُنده، فإنَّ لهم في رسول الله ﷺ أسوةٌ حسنة. وإنَّ لهم في الصحابة الكرام أسوةٌ حسنة؛ فقد شكا بعض الصحابة للنبي ﷺ ما يُلقى من شدة قُريش عليهم، فعن أبي عبد الله خَبَّاب بنْ الأرتِّ رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو

متوسِّد بُرْدَةً له في ظلِّ الكعبة، فقلنا: ألا تستنصرُ لنا أَلا تَدْعُو لَنَا؟ فقال: ﴿ قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُم يُؤخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْض فَيُجْعَلُ فيها، ثُمَّ يُؤْتَى بالْمِنْشَارِ فَيُضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْهَلُ نصْفَيْن، وَيُمْشَطُ بأمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، واللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسيرَ الرَّاكبُ مِنْ صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إلَّا الله والذِّئبُ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تستَعْجِلُونَ﴾ (١)

وهذا يبين ويبعث في المسلم أن الحق ليس بكثرة الناس، وأن المؤمن إذا حصل له ما حصل من كيد الشيطان، أو من كثرة الشهوات، أو من كثرة المغريات فإنه يبعثه ذلك على الاستمساك أكثر وأكثر فيه بدين الله جلا وعلا، لأنه الصحابة رضوان الله عليهم ما تركوا دينهم، ولم يتركوا توحيد الله، ولم يتركوا البراءة من الشرك وأهله، ولم يتركوا ما آمنوا به، عِظم ما أصابهم عليهم رضوان الله؛ فكيف بحال أهل هذا الزمان الذين ربما تركوا شيئاً من الدين لبعض المغريات؟

فالنظر في السيرة وقراءة السيرة يبعث في المؤمن قوة اليقين وقوة الاستعداد، وكذلك يبعث في قلب المؤمن قوة العزة بالإسلام، وأنه عزيزاً بتوحيد الله جل وعلا؛ وعزيزٌ بما قام في قلبه من معرفة الله جل وعلا والعلم به، والإيمان بمحمد ﷺ، وبما أنزل الله جل وعلا على رسوله ﷺ ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨]

---

(١) أخرجه البخاري (٢/٦٥٨) ٨٩- كتاب الإكراه ١- بابُ من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر حديث رقم (٦٩٤٣).

وهذا من ضمن فوائد كثيرة يستقيدها كل مؤمن في النظر في سيرة المصطفى ﷺ .

إذا في الأصل أن قراءة السيرة ليس قراءة قصص ولا حكايات، وإنما هي قراءة عِضة واعتبار، لأنه بالسيرة أخذ الفوائد، وأخذ ما ينفع المؤمن، ويبعث فيه أنواعاً من الخير والهدى والاستمساك بالحق، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف:٤٣] وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[الزخرف:٤٤] فتنوعت اهتمام أهل العلم بالسيرة وذلك لعِظم شأنها.

والسيرة المقصود بها؛ ما أُثِرَ عن النبي ﷺ وعن أصحابه وعن التابعين ومن بعدهم من أهل العلم في وصف حال سير النبي وحال طريقته وهيئته، منذ ولد عليه السلام ، وذكر هديه عليه السلام وسيرته في صغره حتى بعثه الله جل وعلا، وما كان يتصف به قبل المبعث من أنواع الأخلاق والشمائل.

كذلك سيرته ﷺ حكاية لحاله منذ بعثه الله جل وعلا فبلَّغ دعوة الله، وصبر على ذلك؛ وما ناله من الأذى إلى أن توفاه الله جل وعلا؛ ويدخل فيها عدد من أهل ما كان بعد ذلك من سيرة الخلفاء الراشدين، وما حصل لهم من أنواع الفتوح.

إذاً فالسيرة طريقة وهيئة والسيرة مأخوذةٌ من السير، سار يسير سيراً يعني: ما سار عليه النبي ﷺ ، وقد جاء في القرآن ذكر السيرة بمعنى الطريقة والهيئة في قول الله جل وعلا: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾[طه:٢١] فالسيرة إذا يشمل طريقة السير، ويشمل الهيئة التي كان عليها السير، ولذلك تُجمع السيرة على سيَر، ويُذكَر فيها أنواع ما حصل له ﷺ وما حصل لصحابته من بعده.

فالسيرة لها معنى لغوي، ولها معنى اصطلاحي.

ودرج العلماء أن المراد بالسيرة حين تُذكر السيّر ما دُوِّنَ في كُتُبٍ مخصوصةٍ سُميت كُتُب السيرة، وكُتُب السِيَر.

العلماء الذين اعتنوا بتدوين السيرة النبوية:

والكتابة في سيرة النبي ﷺ كانت متقدمة في الزمن الأول، ذَكَرَ العلماء أن **أبان بن عفان ابن الخليفة الراشد هو أول من دوَّن سيرة المصطفى** ﷺ؛ وكانت وفاة أبان- رحمه الله- سنة خمس ومائة (ت-١٠٥هـ) وكان اخذ عن عدد كبير من الصحابة، وأخذ عنه عدد كبير من التابعين.

وممن شَهرَ أيضاً أخذ برواية السيرة وتتبعها؛ عروة بن الزبير بن العوام فقد كان إماماً في المغازي وله مغاز ألَّفها وجمعها باسم (مغازي عروة) وقد جُمِعَ بعضها وطبع.

توفي عروة بن الزبير رضي الله عنه سنة ثلاث وتسعون (ت-٩٣هـ).

وكذلك ممن اهتم بالسيرة؛ ابن شهاب الزهري الإمام المعروف سيد المحدثين في زمانه؛ جمع في السيرة كتاباً وفي المغازي كتاباً، بما ذُكِرَ له عمر بن عبد العزيز — رحمه الله – .

توفي ابن شهاب الزهري سنة أربع وعشرين ومائة(ت-١٢٤هـ).

وكذلك مما كتب في السيرة من الأولين من التابعين، عاصم بن عمر بن قتادة؛ وغيره من ثقات أهل العلم في القرن الأول وفاتحة القرن الثاني.

وبهذا يتبين أن كتابة السيرة كانت متقدمة جداً؛ ولهذا صار أهل العلم بعدهم يأخذون مأخذ التابعين في العناية بسيَر والعناية بالمغازي؛ وقد جمع، العالم المعروف محمد بن إسحاق المدني، في كتاب (**السيَر والمغازي**)، وقيل: أنه ألَّفه بإشارة من أبي جعفر المنصور لما زار ابن إسحاق بغداد فأشار أبو جعفر إلى ابنه فقال لابن إسحاق: أتعرف هذا؟

قال: نعم. هذا ابن أمير المؤمنين.

فقال له: صنِّف كتاباً في ذكر الأخبار من خلق آدم عليه السلام إلى يومنا هذا، فكتب ابن إسحاق، وروي عنه، وانتشر بعده- رحمه الله تعالى –

فهو إمامٌ في السيَر، اجتمع لديه ما تفرَّق فيمن قبله؛ من التابعين الثقات.

علماً أن كتاب ابن إسحاق لم يوجد كاملاً في زماننا هذا، وإنما وجد منه من انتقى من مغازي وسيّر ابن إسحاق، انتقاه ابن هشام العالم اللغوي المعروف؛ هذا الانتقاء أجمع العلماء على حسنه وعلى أنه استخلصه من سيرة ابن إسحاق ما أُثنيَ عليه مؤلفيه به.

فهو لا يروي السيرة عن ابن إسحاق مباشرة، وإنما يرويها بواسطة رجل عن ابن إسحاق.

وهذه السيرة هي المعروفة الآن بسيرة ابن هشام، وهذا تطور في أهل العلم؛ فكتبَ في السيرة عدد، كتب ابن حزم سيرة، سماها: (جوامع السيرة)، وكتب ابن سيد الناس أيضاً سيرة والعلماء تتابعوا على كتابة السيَر ومعتمدهم فيما ذكره ابن هشام عن ابن إسحاق، أو فيما ذُكِرَ في غير ذلك من المغازي.

كذلك من كتب في السيَر الواقدي، والعلماء منهم من يأتمنه ويثني عليه في المغازي؛ ومنهم من يقول: هو في المغازي كشأنه في الحديث لا يقبل حديثه.

ومغازي الواقدي غير موجودة الآن فيما ذكر سير النبي ﷺ الذي اعتمدها عدد من أهل العلم؛ **والصواب أنَّ الواقدي ليس بثبتٍ فيما ينقل، بل ربما حصل له من الخلط في الروايات والزيادات ما لا يُعْرَفُ عن أهل العلم، فلا يُقبل حديثه في المغازي فيما تفرَّد به عن العلماء، سيما ما كان معارضاً لأصل من الأصول، أو كان مُخالِفاً لما دلَّ عليه كلامُ أهل العلم في السيّر.**

وممن كتب أيضاً في السيَر ابن سعد صاحب (الطبقات) في أول كتابه، وجماعة في ذلك، وهذه تُسمى كُتب السيرة أو كُتب السيَر، ثم تتابع العلماء فيها إلى زماننا هذا.

أحواله، ومغازيه، وأشباه ذلك فيما أوردوه في كُتب الحديث، فتجد في(صحيح البخاري)-رحمه الله – كتاب المغازي، وتجد في (صحيح مسلم) السيَر وفي (سنن أبي داود) كذلك.. وهكذا. في بعض الأخبار، وربما طوّلت؛ وكذلك اعتنى بها أهل الحديث في مصنَّفاتٍ مفردةٌ فيها أسانيدهم، فيما يتعلق بالسيَر؛ لكن فيها ما يصح وفيما ما يُنكر، كما قال الحافظ زين الدين العراقي:

وليعلم الطالب أن السيَرَ تجمعُ ما صح وما قد أنكِرَ.

فصنَّف البيهقي (دلائل النبوة) وصنَّف أبو نُعَيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله (دلائل النبوة) أيضاً.

فأهل الحديث اعتنوا بكتابة السيَر من جهتين؛ ما ضمَّنوه في مصنفاتهم من الصحاح والمسانيد من ذكر السيَر، سوى إن كانت مبوبةً أو لم تكن مبوبةً، وكذلك ما أفردوه من التعاليق في ذكر دلائل النبوة.

وكُتب السيَر ليست معنية بالصحيح، وإنما يُذكر فيها ما نُقِلَ في السيرة، لذلك قال زين الدين العراقي كما تقدم: **وليعلم الطالب أن السيَرَ تجمع ما صح وما قد أنكرَ**.

ففيها الصحيح وفيها المنكر، وهذا أمرٌ بيِّنٌ، فإن سيرة ابن إسحاق مثلاً- فيها الصحيح كثير، وفيها المنكر الكثير.

فهذا من جهة ما اشتهر من ذكر مصادر السيرة، وإذا كان كذلك، فالذي ينبغي تحقيقاً لمقام السيرة أن تُضبط مصادر السيرة وأن تؤخذ السيرة بضابط مهم، في ذلك، وهو كيف نأخذ السيرة بطريقةٍ مأمونة؟

أعظم ما تؤخذ سيرة المصطفى ﷺ القرآن الكريم، لأنه القرآن ذكر حياته ﷺ صغيراً ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾[الضحى:٦] وفيها ذكرُ حالتِهِ عليه السلام قبل مبعثه، وفيه ذكر مجيء الجن إليه، يستمعون، وفيه ذكر حالته عليه السلام مع المشركين، ودعوته له، وكذلك ما حصل من الهجرة؛ ثم في القرآن الكريم ذكر المغازي جميعاً، فغزوة بدر الكبرى في (سورة الأنفال)، و(غزوة أحد في سورة آل عمران)، وغزوة الخندق في (سورة الأحزاب)، وفتح مكة وصلح الحديبية في (سورة الفتح) وغزوة تبوك وحنين في (سورة براءة).. وهكذا.

فإذا جمع طالبُ العلم ما تكلَّم به المفسرون من الصحابة ومن بعدهم على هذه الآيات حصل على مصدر قوي على معاني القرآن.

وهذا اجتهد فيه طائفة من أهل العلم لكن لم يجمع- فيما أعلم- جمعاً كاملاً، بحيث تكون السيرة على ما ذكره المفسرون حاول بعض المعاصرين واجتهد في ذلك، لكن لم يجمع كلام المحققين من المفسرين على تلك الآيات؛ فإذا الذي ينبغي في السيرة، أن نعتمد على القرآن فيها، وما ذكره المفسرون في ذكر معاني الآيات التي فيها سيرة النبي ﷺ.

ثم المصدر الثاني: الأحاديث الصحيحة خاصة في (الصحيحين) أو ما صح في غيرهما من الأحاديث التي فيها ذكرُ سيرة النبي ﷺ.

فإذا قُرِنت بما ذُكِرَ في كُتب السيَر، وجدنا أن بعض كُتب السيَر ليس بصحيح؛ في مثل تاريخ بعض الغزوات، وبعض الأحوال، وقصة الإسراء والمعراج، وأشباه ذلك كثير.

وهذه الأحاديث فيها ما لم يذكر في كتاب الله جل وعلا واعتمد عليها الصحابة- رضوان الله عليهم- والتابعون فيما فسَروا من آيات القرآن على نهج السلف- في تفسير القرآن بالسنة.

فالاعتماد على مصادر التفسير من كُتب الصحيح، وكتب الحديث في مصادر السيَر أولى وأبعد إلى كتابة صحيح السيرة النبوية، **وقد كتب عدد من أهل العلم إلى كتابة صحيح السيرة النبوية، وقد كتب بعض المعاصرين في ذلك؛ لكنهم رقوا جبلاً عالياً عليهم**، لأنه هذا الأمر يحتاج إلى علم بالحديث متناً وسنداً، وإلى علوم التفسير وإلى علم اللغة، وإلى علم بما في كُتب السنة، وغلى ما في كُتب العقيدة، إلى آخر ذلك مما فقده بعض من كتب في ذلك.

من المصادر التي تعتمد كُتب السيرة التي ذكرنا، وكُتب التاريخ.

فنجد مثلاً أن تاريخ ابن جرير الطبري يحوي كثيراً من أخبار سيرة المصطفى ﷺ بالأسانيد؛ **لكن نأخذ منها ما لا يتعارض مع ما جاء في القرآن وفي تفسيره ومع ما ثبت في سنة المصطفى ﷺ**.

فإن لم نجد الحديث لا في الكتاب ولا في السنة، فإن أخذه من كُتب السيَر لا بأس به، لأنها أرفع درجة بالاتفاق من أحاديث بني إسرائيل.

وقد قال لنا عليه السلام: ﴿ حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج﴾ [صحيح الجامع- ٣١٣١]، فإذا لم يكن ما في كُتب السيَر معارضاً للكتاب والسنة، فإنه لا بأس من أخذه والاعتماد على ما جاء فيه، وهكذا كان أهل العلم.

لهذا نرى ابن كثير- رحمه الله- في أوائل كتابه (البداية والنهاية) كتب سيرةً طويلة للنبي ﷺ أُفرِدت في أربع مجلدات. وقد جمع فيها ما بين ما ذكر فيها أهل السيَر وما ذكر فيها أهل الحديث، ولكن تحتاج إلى بعض مزيد من التمحيص.

إذا، فهذه المصادر العامة للسيرة، وإذا تبين ذلك فتلحظ فيما سقنا أن أهل الحديث وأهل الأثر والمعتنون بعلوم سلف الأمة، هم الذين اعتنوا بسيرة المصطفى ﷺ، فبعضُ الناس يقول: إن المعتنين بالحديث، والأثر، والمعتنين بطريقة السلف، ليس لهم عناية بالسيرة؛ وهذا ليس بصحيح، بل إن الذين اعتنوا بسيرة النبي ﷺ من حيث الاثبات والانتقاء هو أتباع هذه الأمة إذا صار هُناك قصورٌ ممن اعتنى بالأثر، فإنَّ هذا مما ينبغي علاجه؛ لأنه الاهتمام بالسيرة به يحصلُ المؤمن وطالب العلم أنواع من العلوم والفوائد لا يحصِّلها إلا إذا قرأ السيرة؛ ويقوم في قلبه الاعتزاز بدين الله والفرح بنصرة هذا الدين في أول الأمر.

خلاصة ما تقدم. من تاريخ تدوين السيرة النبوية.

ولما كانت أيام معاوية ﷺ أحَبَّ أن يدوَّن في التاريخ كتاباً، فاستقدم عبيد ابن شريَّة الجرهمي من صنعاء، فكتب له الملوك وأخبار الماضين، بعد هذا رأينا أكثر واحد من العماء يتجهون إلى علم التاريخ من ناحيته الخاصة لا العامة، وهي سير الرسول ﷺ ، ولعلهم وجدوا في تدوين ما يتعلق بهعليه السلام شيئاً يحقق ما في أنفسهم من تعلق به، وحب لتخليد آثاره، بعد أن مُنعوا من دوين أحاديثه إلى أيام عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- ومخافة أن يختلط الحديث بالقرآن، فجاء أكثر من رجل كلهم محدِّث، فدوّنوا في السيرة كُتباً نذكر منهم:

عروة بن الزبير بن العوام الفقيه المحدِّث، الذي مكنه نسبه من قِيل أبيه الزبير بن العوام وأما أسماء بنت أبي بكر، أن يروي الكثير من الأخبار، والأحاديث عن النبي ﷺ، وحياة صدر الإسلام.

وابن إسحاق والواقدي والطبري، أكثروا من الأخذ عنه، ولا سيما فيما يتعلق بالهجرة إلى الحبشة، والمدينة، وغزوة بدر، وكانت وفاة عروة فيما يظن(٩٢هـ).

ثم أبان بنُ عُثمان المدني (ت- ١٠٥هـ) فألف صحفاً جمع فيها أحاديث حياة الرسول ﷺ.

ثم وهب بن منبه اليمني (ت-١١٠هـ) وفي مدين (هَيْد لبرج بألمانيا- قطعة من كتابه الذي ألفه في المغازي.

وغير هؤلاء كثير، منهم من قضى نحبه تمام الربع الأول من القرن الثاني، كشرحبيل بن سعد (ت-١٢٣هـ) وابن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ).

وعاصم بن قتادة (ت- ١٢٠هـ) ومنهم من جاوز بسنين، كعبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت- ١٣٥هـ).

وكان هؤلاء الأربعة ممن اعتنوا بأخبار المغازي، وما يتصل بها.

ومنهم من عاش حتى أوشك أن يدرك منتصف القرن الثاني، أو جاوزه بقليل، كموسى بن عُقبة (ت- ١٤١هـ).

ثم معْمَر بن راشد (ت-١٥٠هـ).

ثم شيخ رجال السيرة محمد بن إسحاق (ت- ١٥٢هـ)

وجاء بعد هؤلاء غيرهم.

منهم: زياداً البكائي (ت- ١٨٣هـ).

والواقدي صاحب (المغازي) (ت- ٢٠٧هـ).

ومحمد بن سعد صاحب (الطبقات الكبرى) (ت- ٢٣٠هـ).

وابن هشام الذي انتهت إليه سيرة ابن إسحاق، فعُرِفت به وشاع ذكره بها.

ثم جاء من بعدهم فأصبحت تأليفاتهم يتناولون السيرة بالشرح، أو الاختصار، أو النظم ليسهل حفظها.

ثم جاء من بعدهم، منهم:

ابن فارس اللغوي (ت-٣٩٥هـ).

ومحمد بن علي بن يوسف الشافعي (ت- ٦٠٠هـ)

عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت- ٦٠٠هـ) له مختصر سيرة النبي ﷺ .

والكتاب مطبوع ومحقق.

وابن أبي طي يحيى بن حميد (ت-٦٣٠هـ).

وظهير الدين علي بن محمد كازروني (٦٦٤هـ).

وعلاء الدين علي بن محمد الخِلاط الحنفي (ت- ٧٠٨هـ).

وابن سيد الناس البصري الشافعي (ت- ٧٣٤هـ).

وشمس الدين ابن القيم الجوزية (ت- ٧٥١هـ) كتابه المشهور (زاد المعاد في هدي خير العباد) حيث خصص جزء من سيرة النبي ﷺ وغزواته.

وشهاب الدين الرّعيني الغرناطي (ت – ٧٧٩هـ).

وأبا عبد الله محمد لن أحمد بن علي الأندلسي (ت- ٧٨٠هـ).

ومحمد بن يوسف الصالحي صاحب (السيرة الشاميَّة) (ت-٩٤٢هـ).

وعلي بو برهان الدين صاحب السيرة الحلبية (ت- ١٠٤٤هـ).

[نسبه صلى الله عليه وسلم]

فهو أبو القاسم ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النّصر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان)[1]

[أمه ﷺ] وأمّ رسول الله ﷺ ، آمنة بنت وهب بن عبد مَنَاف بن زُهْرَة بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤي بن غالب .

فتلتقي مع النبي ﷺ مع كلاب بن مرّة.

[طلوع الفجر المحمدي أو الميلاد السعيد ﷺ]

ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين، لأثني عشرة ليلةً خلتْ من شهر ربيع الأول، عام الفيل.[2] الموافق(٥٧١ ميلادي)[3]

هذا الذي عليه أكثر المؤرخين للميلاد النبوي السعيد.

في بطحاء مكة، وفي بيت عريق في الشرف بيت شيبة الحمد عبد المطلب، زوّج عبد المطلب ولده عبد الله الذبيح سليلة الشَّرف أشرف فتاة وأعفها وأكملها خَلْقاً وخُلُقاً آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب الزهرية القرشية.

أما عبد الله الولد فُلِقبَ بالذبيح قصة من أظرف القصص وأطرفها تتشنف اذان بسماعها، وتهفو القلوب لذكرها ، وهذا عرضها باختصار حتى لا نبعد من ساحة الأنوار.

---

(١) هذا ما اقتصر الإمام البخاري – رحمه الله – على ذكره في (صحيحه) ، (صحيح البخاري – فتح الباري) لابن حجر العسقلاني (١٦٢/٧) ، وانظر(سيرة ابن هشام)(٢،٣/١) ، (الرحيق المختوم)(ص٥٤) لمباركفوري.

(٢) انظر (السيرة النبوية)(١٥٨/١) ، (مختصر السيرة ، وسيرة أصحابه العشرة)(٢٣) لعبد الغني المقدسي – تحقيق / خالد بن عبد الرحمن الشايع) –

(٣)(الرحيق المختوم)(ص٦٢) للمباركفوري ٠

كانت زمزم قد طمرتها جرهم عند مغادرتها مكة لظلمها فانهزامها وكان ذك منها نقمة على أهلها الذين حاربوها وطردوها. وظلت زمزم مطمورة حتى عهد شيبة الحمد عبد المطلب فأُرِيَ في المنام مكانها وحاول إعادة حفرها ، ومنعته قريش، ولم يكن له يومئذ من ولد يعينه على تحقيق مراده إلا الحارث فنذر لله تعالى إن رزقه عشرة من الولد يحمونه ويعينونه ذبح أحدهم ، ولما رزقه الله عشرة من الولد وأراد أن يفيَ بنذره لربّه فاقترع على أيهم يكون الذبيح فكانت القرعة على عبد الله ، وهَمَّ أن يذبحه عند الكعبة فمنعته قريش، وطلبوا إليه أن يرجع في أمره إلى عرَّفة بالمدينة تفتيه في أمر ذبح ولده .

أسئلة :

س١- ما هو نسب النبي ﷺ ؟

س٢- ما هو الجد التي تلتقي أمَّ النبي ﷺ مع النبي عليه الصلاة السلام ؟

فأرشدته إلى أن يضع عشراً من الإبل وهي دية عندهم ، وأن يضرب بالقداح على عبد الله وعلى الإبل ، فإن خرجت على عبد الله الذبيح زاد عشراً من الإبل وإن خرجت على الإبل فانحرها عند فقد رضيها ربكم، ونجا حاحبكم !! فوصلوا إلى مكة وجيء بالإبل وصاحب القداح ، وقام عبد المطلب عند هُبل داخل الكعبة يدعو الله عز وجل ، وأخذ صاحب القداح يضربها ، وكلما خرجت على عبد الله زادوا عشراً من الإبل حتى بلغت مائ ، كل ذلك وعبد المطلب قائم يدعو الله عز وجل عند هبل؛ فقال رجل من قريش قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فأبى إلا أن يضرب عنها القداح ثلاث مرات ففعل فكانت في كل مرة تخرج على الإبل ، وعندها رضي عبد المطلب ونحر الإبل وتركها لا يصد عنها إنسان ولا حيوان ، ونجّى الله تعالى والحمد لله لا لسواه عبد الله والد رسول الله.

فهذا سبب لقب عبد الله بالذبيح ، وهو أحب أولاد عبد المطلب العشرة إليه، وزاده حُبَّاً فيه هذه الحادثة العجيبة.(١)

وأكرم الله تعالى عبد المطلب بإعادة حفر زمزم إذ وافقته قريش على حفرها، وكانت موافقتها لآية شاهدتها لعبد المطلب وهي أنهم لما منعوه من حفرها وأبى عليه ذلك؛ قالوا : نختصم إلى الكاهنة وهي كاهنة بني سعد، وكانت بأعالي الشام، فذهبوا إليها وأثناء سيرهم في طريقهم إليها عطشوا لنفاد مائهم فلما ظنوا الهلاك ، وإذا بعين تنفجر تحت خف ناقة عبد المطلب فقاموا فشربوا وسقوا وعندها أذعنوا لأمر عبد المطلب ورضوا له بحفر بئر زمزم خالصة له دون غيره من أهل مكة.

---

(١) انظر (السيرة النبوية)(١/١٤٩- ١٥٥) لابن هشام ،(هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص٦٢) للشيخ / أبو بكر جابر الجزائري – بارك الله في عمره .

(٢) انظر (السيرة النبوية)(١/١٤٢ – ١٤٥) (ذكر حفر زمزم ، وما جرى من الحلف فيها) وكذا (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب) لأبي بكر الجزائري)(ص٦٢)

نتائج وعبر: إن من نتائج وعبر هذه المقطوعة من السيرة العطرة ما يلي:

(١) فزع عبد المطلب إلى الله تعالى يدعوه وفي كل النوائب دليل على أن مشركي العرب ما كانوا ملاحدة بل كانوا يؤمنون بالله رباً خالقاً رازقاً مدبِّراً والقرآن شاهد بهذا.

(٢) دعاء عبد المطلب الله تعالى عند هبل استشفاعاً به وتوسُّلاً ورَّثه الشيطان جهال المسلمين فإن أحدهم يأتي قبر الولي ويدعو الله تعالى عنده استشفاعاً بالولي وتوسلاً به على سنة عبد المطلب الجاهلي والعياذ بالله.

(٣) كرامات عبد المطلب التي أكرمه الله بها كرؤيا بئر زمزم وحفرها ، والماء الذي نبع من تحت خف ناقته ، وخروج القداح على الإبل لا على ولده هي في الظاهر كرامات لعبد المطلب إلا أنها في الحقيقة هي آيات النبوة المحمدية وتباشيرها.

(٤) مواصلة ضرب القداح حتى بلغت مائة كانت مبدأ تقرير دية الرجل وهي مائة من الإبل وأقرها الإسلام فكانت دية الرجل المؤمن والمرأة على النصف منها. [١]

الأسئلة :

س١- متى ولد الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .؟

س٢- لماذا سمي الرسول ﷺ بإبن الذبيح ؟

س٣- أذكر كرامتين من كرامات عبد المطلب ؟

س٤ – كفار قريش إذا أصابهم فزع هموا إلى الله بالدعاء؛ أذكر ما تحفظ من الآيات في هذا السياق ؟

---

(١) انظر (هذا الحبيب يا محب) (ص٦٣) لأبي بكر جابر الجزائري.

الحمل والميلاد :

لقد تزوج عبد المطلب آمنة زوجه بها والده عبد المطلب علىأثر نجاته من الذبح وفاءً بالنّذر، وبنى بها عبد المطلب وحملت منه بالحبيب ﷺ وواكبت حمله ووضعه آيات نبوّته التالية : [١]

(١) إنه ولد ﷺ من نكاح شرعيّ لا من سفاح جاهليّ وهي عصمة إلهية لا يقد رعليها إلا الله.

(٢) إن آمنة لم تجد أثناء حملها به ﷺ ما تجد الحوامل عادة من الوهن والضعف فكان هذا آية .[٢]

(٣) إن آمنة لما حملت به ﷺ ولما وضعته رأت نوراً خرج منها فأضاء لها قصور الشام. [٣]

(٤) إن آمنة لما حملت به ﷺ أتاها آت: إنك حملت بسيّد هذه الأمة ، فإذا وضع في الأرض فقولي : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ولآية ذلك أنه يخرج معه نور يملاء بُصرى من أرض الشام فإذاً فسميه محمداً فإن اسمه في التوراة أحمد يحمده أهل السماء والأرض .[٤]

(٥) ارتجاج إيوان كسرى بفارس وسقوط أربع عشرة [٥] شرفة من شرفاته. [٦]

---

(١) انظر (هذا الحبيب يا محب) لأبي بكر جابر الجزائري.

(٢) انظر (قصص الأنبياء)(ص٤٩٨-٤٩٩)(قصص الأنبياء) لابن كثير.

(٣) انظر (مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ عبد الله االنجدي(ص١٢٩) وابن سعد(٦٣/١)، (الرحيق المختوم)(ص٦٢) ، (هذا الحبيب يا محب) لأبي بكر الجزائري ٠(صحيح السيرة النبوية)(ص١٨) للألباني.

(٤) ارجع (السيرة النبوية)(١٥٨/١) لابن هشام ، (هذها الحبيب يا محب) لأبي بكر الجزائري (ص٦٤).

(٥) أول هذا اللفظ : بسقوط أربعة عشراً ملكاً من ملوكهم وملكاتهم ، فسقط عشرة منهم في أربع سنوات ، تم سقوطهم على عهد الفتح الإسلامي ٠انظر(هذا الحبيب يا محب)(١) الحاشية) لأبي بكر الجزائري.

(٦) (صحيح السيرة النبوية)(ص١٤) للإمام الألباني- رحمه الله-.

(٦) خمود نار فارس التي لم تخمد منذ ألف سنة.

(٧) امتلاء البيت الذي ولد به نوراً ، ورؤية النجوم وهي تدنو منه حتى لتكاد تقع عليه ﷺ، رأت هذا أمه والقابلة التي كانت معها وحدثتا به، وهو حقٌ لا باطل وصدق لا كذب.[١]

نتائج وعبر : إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نذكرها فيما يلي :

أولا: بيان شرف أبوي الرسول ﷺ وطهارتهما وفي هذا ما يوجب إكباره ﷺ ومحبته وتقديره.

ثانياً : الآيات التي واكبت حمله وولادته تقرر نبوّته وسيادته على الناس أجمعين.

ثالثاً : سقوط أربع عشرة شرفة من شرفات القصر آية نبوّته ﷺ إذ تداول ملك الفرس في خلال أربع سنوات عشرة ملوك وملكات ، وتمَّ الأربعون الباقون في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

الأسئلة :

س١- واكب حمل الرسول ﷺ آيات تبثبت نبوّته؛ ما هي هذه الآيات ؟

س٢- ما هي هذه النتائج والعبر لهذه المقطوعة من السيرة العطرة لرسول الله ﷺ ؟

---

(٧) (هذا الحبيب يا محب)(ص٦٥)لأبي بكر الجزائري.

[وفاة والد رسول الله ﷺ وأمه وجده]

*مات **أبوه** عبد الله بن عبد المطلب بدار النابغة [١] ورسول الله ﷺ حمْل[٢]

* **ماتت أمه** ﷺ وهو ابن ست سنين ودخل في السابعة ولم يستكملها [٣] وكانت وفاتها في موضع يقال له الأبواء بين مكة والمدينة ، حيث كانت راجعة به، ﷺ، من أخوال أبيه بني عدي بن النجار بعد زيارتهم.[٤]

* **مات جدّه** عبد المطلب وه ابن ثمان سنين. [٥]

[رضاعه ﷺ] : أرضعته ، ﷺ ، **ثويبة** جارية أبي لهب [٦]، وأرضعت معه حمزة بن عبد المطلب ، وأبا سلمة عبد الله بن الأسد المخزومي ، وأرضعتهم بلبن ابنها مَسْرُوح.

وأرضعته حليمة السعدية بن أبي ذؤيب السَّعدية. [٧]

---

(١) دار النابغة : لأحد بني النجار بالمدينة.

(٢) هذا هو الراجح وما ذهب إليه الجمهور، بأن والد نبينا ﷺ عبد الله بن عبد المطلب توفي والنبي ، ﷺ جنين في بطن أمه ، وهذا أبلغ وأعلى مرتبه ، قال تعالى: (**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى {٦}**)[سورة الضحى آية : ٦] وممن رجح هذا القول الحاكم في (المستدرك) للحاكم ما يؤيده(٢/٦٠٥) ابن القيم في (زاد المعاد)(١/٧٦) ، وابن كثير في (البداية والنهاية)(٣٢٢- ٣٢٣) والذهبي في (السيرة)(ص٥٠) وابن حجر في (فتح الباري شرح صحيح البخاري) (١٦٣/٧)وابن الجوزي في (الوفا بأحوال المصطفى)(١٥٣/١)

(٣) انظر (مصنف عبد الزاق)(٣١٨/٥) ،(صحيح السيرة) للشيخ الطرهوني الحاشية : (١٦٥- ١٦٦) (مختصر السيرة) لعبد الغني المقدسي – تحقيق خالد عبد الرحمن الشايع / (ص٢٥- الحاشية – ١)

(٤) (مختصر السيرة) لعبد الغني المقدسي)(ص٢٥) تحقيق خالد عبد الرحمن الشايع ٠

(٥) المصدر السابق – انظر (زاد المعاد)(٧٦/١) لابن القيم ٠

(٦) ثبت ذلك في (صحيح البخاري في عدة مواضع متعددة منها(٥١٠١) و(صحيح مسلم (١٤٤٩) وغيرهما ٠

(٧) هذا مشهور ولا يحتاج إلى بيان ٠ انظر (السلسلة الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها)(١٥٤٥) ٠

عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ ، أنهم قالوا له: أخبرنا عن نفسك ؟ ! قال : ﴿ **نعم أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخي عيس – عليهما السلام ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نورُ أضاءت له قصور الشام واسترضعتُ في بني سعد ..**﴾ الحديث .[1]

*** قصة رضاعته من السيدة حليمة السعدية :**

وقد رأت في إرضاعه ﷺ آيات عما شاهدت من آيات نبوته ﷺ: إنها قالت : خرجت من بلدي مع زوجي وابن صغير لنا نرضعه في نسوة من بني سعد نلتمس الرضعاء وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً خرجنا على أتان[2] لنا قمْراء، ومعنا شارف لنا، والله ما تبض بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من بكاء صبيّنا الذي معنا من الجوع ؛ إذ ما في ثديّ ما يغنيه وما في شارفنا ما يغذيه ، ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج ، خرجنا نلتمس الرُّضعاءَ في مكة فما منّا إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذ قيل لها : إنه يتيم ، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبيّ فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا العودة إلى بلدنا قلت لزوجي: والله إني لأكره أن أرجع ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فآخذه، فقال لي: لا عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على ذلك إلا أنني لم أجد غيره، فلما رجعت به إلى رحلي ووضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى رُوِيَ وشربَ معه أخوه حتى روى، ثم نام، وقام زوجي إلى

---

(١) المصدر السابق .

(٢) أتان : انثى الحمار.

شارفنا تلك فإذا هي حافل [١] فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريّاً وشِبَعاً فبتنا بخير ليلة ، فلما أصبحنا قال لي زوجي: تعلمين والله يَا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة، قلت: والله إني لأرجو ذلك ، ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته عليها معي فوالله لقطعتْ بالركب ما يقدر عليها شيء من حُمُرهم حتّى إن صواحبي قلن لي يا ابنة أبي ذؤيب ويحك ارِبعِي [٢] علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فقلت لهن: بلى والله إنها لهي هي، فقلت والله إن لها لشأناً. ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شباعاً لُبّناً[٣] فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لُبّناً، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه (أي سنتا رضاعه) وفصلته، وكان يَشِبُّ شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً خفراً (غليظاً شديداً) فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا؛ لما كنا نرى من بركته؛ فكلمنا أمه وقلتُ لها: لو تركت بنّي عندي حتى يغلظ فإني أخشى عليه وباء مكة، فلم نزل بها حتى ردته معنا، فرجعنا به ، وبعد مقدمنا بأشهر وإنه لفى بَهم [٤] لنا مع أخيه خلف

---

(١) حافل : اجتمع فيه اللبن.

(٢) ربعت الإبل : سرحت في لمرعى وأكلت وشربت كيف شاءت.

(٣) كثيرة اللبن.

(٤) البهم جمع بهيمة : صغار الغنم.

بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتدّ، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه، قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً منتقِعاً (متغير) وَجْهُهُ فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له: مالك يا بنيّ ؟ قال: جاء لي رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقّا بطني فالتمسا فيه شيء لا أدري ما هو؛ فرجعنا به إلى خبائنا، وقال لي أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذه الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، فاحتملناه فقدمنا به على أمه، فقالت: ما أقدمك به يا ظئرُ[1] وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ؟

فقلت لها: قد بلغ الند بأبني ، وقضيت الذي عليّ وتخوفت الأحداث عليه فأديته إليك كما تحبين، قالت: ما هذا شأنك ؟ فأصدقيني خبرك فلم تدعني حتى أخبرتها.

قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قلت: نعم. قالت : كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وإن لبنيّ لشأناً ، أفلا أخبرك به ؟ قلت: بلى قالت : رأيت حين حملتُ به أنه خرج مني نورٌ أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخفّ عليَّ ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء. دعيه عنك وانطلقي راشدة.

هكذا كان استرضاعه ﷺ في بادية بني سعد شأنه شأن أبناء سادات قريش يرضعون أولادهم في البوادي ليصحوا أجساماً ، ويفصحوا لساناً ، ويقوا جَناناً .[2]

---

(١) الظئر : العاطفة على ولد غيرها المرضعة له.

(٢) انظر (السيرة النبوية)(١/١٦٢-١٦٥) لابن هشام ، (زاد المعاد)(١/٨٢) لابن القيم (البداية والنهاية)(٢/٢١٨) ،(الرحيق المختوم)(ص٦٤) للمباركفوري ،(صحيح السيرة النبوية)(ص١٠) للألباني(هذا الحبيب يا محب) (ص٦٨) لأبي بكر الجزائري.

وثبت في (صحيح مسلم) عن أنس بن مالك :

أن ﷺ رسول الله أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه ، واستخرج القلب ، واستخرج معه علقه سوادء ، فقال : هذا حظ الشيطان. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمَهُ ، ثم عاده في مكاه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعني : ظئره – فقالوا : إن محمداً قد قُتِلَ. فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

قال أنس : وقد كنت أرى ذلك المخيط في صدره .[1]

نتائج وعبر: لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نوجزها فيما يلي:

(١) بيان عدد مرضعاته وأنهن ثلاث الأم السريّة آمن، وثويبة مولاة عمه أبي لهب، وحليمة السعدية – رضي الله عنها.

(٢) بيان مدة رضاعه وأنها كانت حولين كاملين وهي المدة التي قررها الإسلام.

(٣) بيان ما نال حليمة السعدية وأسرتها من خير وبركة وما فازت من شرف لا يقادر قدره بإرضاعها رسول الله ﷺ وحبها له.

(٤) حبّ النبي ﷺ موجب للخير دافع للشّر فإن حب أبي لهب له لما بشر بولادته نفعه فرؤى في المنام وإنه يعذب لموته الشرك والكفر إلا أنه يمتص من أنملته ماءً كل يوم اثنين وهو يوم ولادته ﷺ وتبشيره به.

---

(١) انظر (صحيح السيرة النبوية)(ص١٦) للألباني.

(٥) تقرير الإسلام لمشروعية الإرضاع حولين كاملين لمن أراد ذلك.

(٦) بيان إعداد الله تعالى عبده ورسوله محمداً ﷺ لتلقي الوحي عنه بشق صدره ونزع مغمز الشيطان منه حتى لا يبق له محل ينزل به ليوسوس.

(٧) بيان آيات نبوّته التي رأتها آمنة والدته يوم حملها ويوم وضعها.

(٨) جواز الاعتزاز بالخير الذي يعطيه الربّ تبارك وتعالى عبده ، ويكرمه به لكن مع شكر المنعم سبحانه وتعالى على ما أولى العبد من خير وفضل [١].

أسئلة :

س١- أين تُوفِيَ والد النبيّ محمد ﷺ ؟

س٢- أين تُوفيت أمه ﷺ ؟

س٣- كم كان عمر النبي ﷺ عندما تُوفيّ أباه ؟

س٤- كم كان عمره ﷺ عندما تُوفيت أمه ؟

س٥- كم كان عدد النساء اللآتي أرضعن النبي ﷺ ؟

س٦- ماذا نفهم من حديث خالد بن معدان ؟

س٧- هل يستطيع منكم من يقص علينا قصة حليمة السعدية في رضاعته ﷺ ؟

س٨- ما هي النتائج والعِبر لهذه المقطوعة من سيرة النبي ﷺ العطِرة ؟

---

(١) انظر (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب) (ص٦٩) لأبي بكر جابر الجزائري.

[في اسمائه ﷺ]

روى جبير بن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **إني أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي حشر النّاس** [(١)] **، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي** ﴾[(٢)]

وروى أبو موسى عبد الله بن قيس : قال : سمى لنا رسول الله ، ﷺ ، نَفْسَهُ أسماء ، منها ما حفظنا ، فقال : ﴿ **أنا محمد ، وأنا أحمد ، والمقفّي ، وونبي التوبة ، ونبي الرحمة** ﴾ وفي رواية : ﴿ **ونبي الملحمة** ﴾ وهي المقتلة .[(٣)]

وسمَّاه الله عز وجلّ – في كتابه العزيز :

(بشيراً) و(نذيراً) قال تعالى : ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** ﴾ [البقرة:١١٩]

و(رؤوفاً) و(رحيماً) قال تعالى :﴿ **لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[التوبة :١٢٨]

و(رحمة للعالمين)قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[الأنبياء:١٠٧]

---

(١) الحاشر : يتقدم عليه السلام الناس يوم المحشر ويحشر الناس على أثره .

(٢) رواه البخاري(٣٥٣٢) ،(٤٨٩٦) ، ومسلم(٢٣٥٤) .

(٣) رواه مسلم (٢٣٥٥) ، أما رواية (نبي الملحمة) فهي عند أحمد في (المسند)(٤/٤٠٧،٤٠٤،٣٩٥) وابن حبان في (صحيحه)(٦٣١٤) وفي لفظ (نبي الملاحم) في (المسند)(٥/٤٠٥) و(الشمائل)(١٩١) تحقيق الألباني ، وقال : إسناده حسن ، والملاحم : جمع ملحمة وهي الحرب ، سميت بذلك لاشتباك لحوم الناس فيها بعضهم ببعض.

[كفلاء الحبيب محمد ﷺ وحاضنته]

لقد عادت بالحبيب ﷺ مرضعته حليمة السعدية لتكفله أمه آمنة ، ويرعاه جده عبد المطلب، والله تعالى كالىء الكل وحافظهم، وبهذا كانت آمنة الوالدة أول كافل للنبي ﷺ في صباه، وشاء الله تعالى أن تخرج آمنة بغلامها الزكي النقي الطاهر إلى يثرب { المدينة المنورة} لتزيره أخواله من بني عدي بن النجار إذ هم أخوال أبيه، وخال الأب خال الإبن، لأن أم عبد المطلب، والدة عبد الله هي سلمى بنت عمرو النجارية. ولما وصلت آمنة الأبواء عائدة من المدينة إلى مكة أدركتها المنية فماتت بها، وحضنت الحبيب محمداً الغلام اليافع مولاة أبيه أم أيمن بركة باركها الله ورضى عنها، إنها أم أسامة حب رسول الله ﷺ ابن حبه زيد بن حارثة مولاه رضي الله عنه وأرضاه، فوصلت به حاضنته أم أيمن مكة المكرمة ، فسلمته إى جده عبد المطلب فكفله، فكان ثاني الكفلاء لرسول الله ﷺ ، ولقد لقى محمد الغلام الطاهر من الحفاوة والتكريم والإجلال والتقدير من جده الكفيل ما لا يقادر قدره ، ولا يعرف مداه.

ومات الجد الرحيم والكافل الكريم وسن النبي ﷺ ثمان سنوات ليكفله بوصية خصوصيته من عبد المطلب عمه أبو طالب وهو شقيق أبيه.

فكان أبو طالب ثالث الكفلاء لرسول الله ﷺ في صباه، وما زال في كفالته حتى بلغ سن الرشد، ثم لا زمه أبو طالب العم الكفيل فلم يتركه ولم يسلمه لقريب ولا لبعيد حتى قبضه الله، في السنة الحدية عشرة من البعثة النبوية العظيمة.ومات أو طالب – مع الأسف – على غير ملة الإسلام – لما سبق في قضاء الله تعالى – أنه يموت غير مسلم، ولا راد لما قضى الله.

نتائج وعبر إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً هي كالتالي.

(١) بيان يُتْمْ النبي ﷺ ، إذ مات والده وهو حمل لم يولد بعد ، وماتة والدته وهو في السنة السادسة من عمرة. وفي القرآن الكريم: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى** ﴾ [الضحى:١]

(٢) بيان من شرّفه الله تعالى بكفالة نبيه أيام طفولته ﷺ

(٣) بيان شرف بركة أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ إذ أكرمها الله بحضانته بعد وفاة أمه ﷺ.

(٤) تقرير عقيدة القضاء والقدر، وأن السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقى في بطن أمه كذلك ، إذا رفعت الأقلام وجفت الصحف بما هو كائن.

---

(١) الجوازي : جمع جاز أي لا يعدم جزاء عليه

(٢) انظر (هذا الحبيب يا محب)(ص٦٩-٧١) لأبي بكر الجزائري .

(٥) بيان أن فعل الخير لا يعدم فاعله جوازيه. [١] فإن أبا طالب أخبر النبي ﷺ عنه أن في النار لموته على غير الإسلام وأخبر أنه يخفف عنه العذاب لما قد لرسول الله ﷺ من عون وحماية طيلة حياته معه في مكة.[٢]

أسئلة

س١- اذكر ثلاث اسماء لرسول الله ﷺ من الكتاب والسنة المطهرة ؟

س٢- ما معنى : الحاشر – الملحمة ؟

س٣- كم كان سن النبيّ ﷺ عندما توفيَ جده عبد المطلب ؟

س٤- من أول حاضنة لرسول ﷺ بعد وفاة أمه ؟

س٥- ما منزلة أسامة بن زيد بن حارثه رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ ؟

س٦- من كفلاء الرسول ﷺ من خلال قراءتك لهذه المقطوعة من السيرة العطِرة ؟

س٧- أن لهذه المقطوعة من السيرة العطِرة نتائج وعِبر اذكري ثلاث نتائج لهذه المقطوعة من السيرة النبوية الشريفة ؟

[نشأته ﷺ بمكة وخروجه مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بَحيرى الراهب، وزواجه بخديجة]

طهَّره الله – عز وجل – من دَنَس الجاهلية ومن كلّ عيب ، ومنحه كل خلق جميل، حتى لم يكن يُعرف بين قومه إلاّ بالأمين، لما شاهدوا من أمانته وصدق حديثه وطهارته.

خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب – يعني: بَحيرى – هبطوا فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم. قال : فنزل وهو يحلون رحالهم ، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ، فقال: هذا سيد العالمين – وفي رواية البيهقي – هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين.

فقال له أشياخ من قريش: وما علمَّك ؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً، ولا يسجدون إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه. ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به – وكان هو في رعية الإبل – فقال: أرسلوا إليه. فأقبل وغمامة تظله ، فلما دنا من القوم قال: انظروا إليه عليه غمامة ! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء شجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، قال : انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال: فينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم، فإن الرو إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه ، فالتفت ، فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد أقبلوا، قال : فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا: جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس، وأخبرنا خبره إلى طريقك هذا.

قال: فهل خَلْفكم أحد وهوخير منكم ؟ قالوا: لا. إنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده ؟

فقلوا لا. قال: فبايعوه وأقاموا عنده، قال:

فقال الراهب : أنشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا : أبو طالب. فلم يزل يناشده حتى رده، وبعث معه أبو بكراً وبلالاً ، وزوده الرهب من الكعك والزيت .(!)

نتائج هذا المظهر: لهذا المظهر من الكمال المحمدي نتائج نجملها فيما يلي :

(١) بيان مدى حب أبي طالب للنبي ﷺ. (٢) آية تظليل الغمامة للنبي ﷺ .

(٣) تقرير النبوة المحمدية بشهدة بحيرى الرهب ٠

(٤) عصمة النبي ﷺ قبل بعثته من الشرك لبغضه الحلف باللات والعزى ٠

(٥) حرمة الحلف بغير الله تعالى ، وأن الحلف بغير الله شرك ٠

أسئلة :

س١- بماذا كان يُعرَف النبي عليه السلام بين قومه ؟

س٢- أسرد قصة النبي ﷺ مع بحيرة الراهب ؟

س٣- اذكر ثلاث نتائج لهذه القصة من السيرة العطرة في ضوء ما سبق ذكره؟

---

(١) رواه الحافظ أبو بكر الخرائطي من طريق يونس بن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه ٠ فذكره ٠٠) قال الألباني : هكذا رواه الترمذي والحاكم والبيهقي وابن عساكر وغير واحدمن الحفاظ ، وقال الترمذي : (حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ٠) قلت : وهو قول الألباني : فيه من الغرائب أنه من مرسلات الصحابة ؛ فإن أبا موسى الأشعري إنما قدم في (سنة خيبر سنة سبع من الهجرة فهو مرسل – ثم قال – رحمه الله تعالى : ولمثل هذه الإحتمالات تقرير في مصطلح الحديث / أن مراسيل الصحابة حجة. انظر(صحيح السيرة النبوية) للإمام الألباني)(ص٢٩-٣١).

ثم خرج ثانياً ﷺ إلى الشام مع مَيْسَرة غلام خديجة – رضي الله عنها – في تجارة لها قبل أن يتزوّجها ، حتى بلغ إلى سوق بصرى ، فباع تجارته.

[في منشئته عليه الصلاة والسلام ومرباه وكفاية الله له ، واحياطته ، وكيف كان يتيماً فأواه وعائلاً فأغناه]

قال جابر بن عبد الله: لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله ﷺ ينقل الحجارة، فقال العباس لرسول الله ﷺ: اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة. ففعل فخرَّ إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : ﴿ إزاري ﴾ فشُدَ عليه إزاره.[1]

وعن زيد بن حارثة قال: كان صنم من نحاس يقال له : (إساف ونائلة) يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ وطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ لا تمسه ﴾ قال زيد: فطفنا، فقلت في نفسي: لأمسنه حتى أنظر ما يكون. فمسحته، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ألم تُنْهَ ؟ ! ﴾

قال زيد: فوالذي أكرمه وأنزل الكتاب ؛ ما استلم صنماً قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه. [2]

---

(١) رواه البخاري ومسلم . انظر (البداية والنهاية)(٢/٢٢٨)(صحيح السيرة النبوية) للألباني (ص٣٢) للإمام الألباني .

(٢)رواه البهقي . انظر(البداية والنهاية)(٢/٢٢٨) لابن كثير ، (هذا الحبيب يا محب)(ص٧٥)لأبي بكر الجزائري. (صحيح السيرة)(ص٣٢) للألباني.

نتائج وعِبَر لهذا المظهر: إن لهذا المظهر نتائج هي كالتالي:

(١) عناية الله بنبيّه ﷺ وحفظه له من كل ما يسيء إلى مقامه الرفيع ومكانته السامية .

(٢) كشف العورات مما جاء الإسلام بتحريمه ومنعه إلا من ضرورة تطبيب ونحوه.

(٣) بيان مشاركة النبي ﷺ قومه فيما هو خير ومعروف، وهو مظهر من مظاهر كماله ﷺ ذاتاً وروحاً وخلقاً .

الأسئلة :

س١- من هو الصحابي الذي كان ينهاه الرسول ﷺ عن مس الأصنام ؟

س٢- اذكر دليلاً على عناية الله بنبيّه ﷺ وحفظه له من كل ما يسيء إلى مقامه الرفيع ومكانته السامية ؟

س٣- لهذه المقطوعة نتائج وعبر ما هي ؟

حرب الفجار :

ولخمس عشرة من عمره ﷺ كانت حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة وبين **قيس عيلان**، وكان قائد قريش وكنانة كلها حرب بن أمية لمكانته فيهم سناً وشرفاً، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانه، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانه على قيس.

وسميت بحرب الفجار لانتهاك حرمات الحَرَمْ والأشْهُر الحُرُم فيه، وقد حضر هذه الحرب رسول الله ﷺ، وكان ينبل على عمومته، أي يجهز لهم النبل للرمي.(١)

حلف الفضول:

حضوره ﷺ حلف الفضول إن حلف الفضول كان بعد حرب الفجار التي كانت حرباً فيها أهلها بانتهاكهم حرمة الشهر الحرام ، وقد دارت تلك الحرب بين كنانة وقريش من جهة ، وقريش من جهة أخرى ، وكان سببها تافهاً لم يعدُ قتل رجل من قريش تداعى بعده الحلاف للقتال ، ولما انتهت تلك الحرب الفاجرة الخاسرة إذ هي من عمل الجاهلية دعت قريش إلى حلف الفضول ، وسببه أن رجلاً من زبيد جاء مكة ببضاعة فاشتراها من العاص بن وائل وكان ذا قدر وشرف في مكة فمنعه حقه فاستدعى الزبيدي الأحلاف على العاص ، وهم عبد الدار، ومخزوم وجُمَح، وسهم، وعديّ فأبوا أن يعينوه على العاص بن وائل فما كان منه إلا أن علا جبل أبي قيس، وصاح بشعر يصف ظلامته. وعندما مشى الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك فاجتمعت هاشم وزهرة وتميم بن مرة في دار عبد لله بن جدعان ومعهم النبي ﷺ وكان **عمره إذ ذاك عشرون سنة** ، فصنع لهم عبد الله طعاماً **وتحالفوا وهم في شهر ذي الحجة** أي حلف بعضهم لبعض متعاهدين متعاقدين بالله ليكونُنَّ يداً واحدةً مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه ما بل بحر صوفه، فسمت قريش ذلك الحلف

(**حلف الفضول**) وقالوا فقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاص بن وائل ، وانتزعوا منه حق الزبيدي .

وهذا قال الزبير بن عبد المطلب وهو عم النبيّ ﷺ :

إن الفضول تحالفو وتعاقدوا ألاّ يُقيم ببطن مكة ظالمُ

أمر عليه توافقوا وتعاقدوا فالجار والمعتر فيه سالمُ (٢)

وفي هذا الحلف يقول الرسول ﷺ في الإسلام :

﴿ شهدت مع عمومتي حلف المطيَّبين ، فما أحب أن أنكُثَه – أو كلمة نحوها – وأن لي حُمْرَ النَّعَم ﴾ (٣)

---

(١)(مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدي(ص١٦) (السيرة النبوية)(١/ ١٨٤-١٨٦)لابن هشام ،(الرحيق المختوم)(ص٦٨) لمباركفوري(هذا الحبيب يا محب)(ص٧٧)لأبي بكر الجزائري (صحيح السيرة النبوية) (ص٣٥)للإمام الألباني.

(٢) انظر (ها الحبيب يا محب)(ص٧٨) لأبي بكر الجزائري.

(٣) رواه البيهقي ، وقال الإمام الألباني –رحمه الله– : إسناده حسن ، وله شواهد .انظر (صحيح السيرة النبوية)(ص٣٥) للألباني.

نتائج هذا المظهر: إن لهذا المظهر من الكمال المحمدي نتائج وعبراً نلخصها فيما يلي:

(١) شعور أهل الجاهلية بالخطيئة وكراهيتهم لها، ولذا سموا الحرب التي انتهكوا فيها حرمة الحرم بحرب الفِجار، وهو فِعال من الفجور؛ إذ تبادلوا فيه الفجور فسار فعالاً من باب فاعل كقاتل قتالاً.

(٢) بيان ظلم وطغيان العاص بن وائل، وهو الذي وقف في وجه الدعوة الإسلامية يحاربها حتى مات إلى جهنم.

(٣) بيان مروءة الزبير بن عبد المطلب، إذ هو الذي كان السبب في تكوين حلف الفضول ، وعادة حق الزبيدي غليه بعد انزاعه من العاص بن وائل .

(٤) بيان فضل بني هاشم على غيرهم، وحسبهم شرفاً مفخارهم الجمة وكون النبي ﷺ منهم.

(٥) تقرير الكمال المحمدي وتأكيده بحضوره ﷺ هذا الحلف ، ومفاخرته به في قوله الثابت الصحيح : ﴿ **شهدت مع عمومتي حلف المطيَّبين ، فما أحب أن أنكُثَه – أو كلمة نحوها – وأن لي حُمْرَ النَّعَم** ﴾ (١)

(٦) عدم انتفاع العبد بما يعمله من الخيرات والصالحات إذا مات مشركاً لقول الرسول ﷺ لعائشة وقد سألته عن عبد الله بن جدعان : ﴿ **إنه لم يقل يوماً من الدهر ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين** ﴾ (٢) أي لا ينفعه عمله الصالح لموته على الشرك.(٣)

---

(١) المصدر السابق .

(٢) رواه مسلم. وعبد الله بن جدعان يكنى بأبي زهير وهو تيمي من قرابة عائشة ولذا سألت عنه – رضي الله عنها.

(٣) انظر (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص٧٩) لأبي بكر جابر الجزائري .

الأسئلة :

س١- كم كان عمره ﷺ عندما بدأت حرب الفجار ؟

س٢- من كان قائد قريش وكنانه في هذه الحرب ؟

س٣- لمن كان الظفر في أول النهار وفي وسط النهار ؟

س٤- لماذا سُميت حرب الفجار ؟

س٥- ماذا كان عمل الرسول ﷺ في هذه الحرب ؟

س٦- لماذا سُميَ حلف الفضول ؟

س٧- كم كان عمره ﷺ عندما عُقِدَ حلف الفضول ؟

س٨- لماذا سألت عائشة رضي الله عنها عن عبد الله بن جدعان ؟

---

(١) رواه البخاري وابن ماجه ٠ وانظر (صحيح الجامع)(٥٥٨١) للألباني.

حياة الكدح والعمل :

ولم يكن له ﷺ عمل معين في أول شبابه، إلا أن الروايات تالت أنه كان يرعى الغنم، رعاها في بني سعد ، وفي مكة لأهلها على قراريط ، كما صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ **ما بعث نبياً إلا رعى الغنمَ ، وأنا كنتُ أرعاها لأهل مكةَ بالقراريط**﴾ (١) وفي الخامسة والعشرين من سنة خرج تاجرا إلى الشام في مال خديجة رضي الله عنها.

وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم ، وكانت قريش قوماً تجاراً فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديث ، وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار ، مع غلامها ميسرة حتى قدم الشام.(١)

زواجه ﷺ خديجة :

ولما رجع إلى مكة ، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا ، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه ﷺ من خلال عذبة ، وشمائل كريمة ، وفكر راجح ، ومنطق صادق ، ومنهج أمين.

---

(١)(السيرة النبوية)(١٨٧/١)(البداية والنهاية)(٢٣٤/٢) لابن كثير(مختصر السيرة)ص٣١) لعبد اغني المقدسي – تحقيق خالد الشايع (الرحيق المختوم)(ص٦٩) للمباركفوري .(صحيح السيرة لنبوية)(ص٣٨) للألباني.

وجدت ضالتها المنشودة – وكان السادات والرؤوساء يحرصون على زواجها، فتأبى عليهم ذلك – فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منية، وهذه ذهبت إليه ﷺ تفاتحه أن يتزوج خديجة، فرضى بذلك، وكلم أعمامه ، فذهبوا إلى عم خديجة، وخطبوها إليه، وعلى أثر ذلك تم الزواج، وحضر العقد بنو هاشم و رؤساء مضر، وذلك بعد رجوعه من الشام بشهرين، وأصدقها عشرين بكرة، وكانت سنها إذ ذاك أربعين سنة، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسباً وثروة وعقلا، وهي أو ل امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت.

نتائج وعبر : إن زواج النبي ﷺ من خديجة بنت خويلد نتائج وعِبَر، نجملها كالآتي:

(١) بيان ما حبا الله تعالى به نبيه من الكمالات النفسيّ التي رغبت خديجة في الزواج به.

(٢) مشروعية إبداء المرأة رغبتها في الرجل تريد الزوج به.

(٣) مشروعية الخطبة للزواج وتولي ذلك الزوج كما تولى حمزة وأبو طالب خطبة خديجة من والدها خويلد بن أسد.

(٤) بيان شرف خديجة أم المؤمنين وهي حقاً سيدة نساء قريش ، وقدجاء جبريل ببشارة لها من أعظم البشريات جاء بها من الله عز وجل وهي: إن الله يقول لك – يريد رسول الله –﴿ **أقرىء منّى السلام وبشرها بقصر في الجنة من قصب** ﴾[1]

الأسئلة :

س١- ما من نبيّ إلا ورعى الغنم ما الدليل على ذلك ؟

س٢- كيف كانت حياة خديجة رضي الله عنها في التجارة ؟

س٣- لماذا طلبت خديجة من النبي ﷺ بأن يتاجر لها في مالها ؟

س٤- ما أسم غلام خديجة التي يتجر بمالها إلى الشام ؟

٥- صف زواج النبي ﷺ من خديجة رضي الله عنها ؟

---

(١) صحيح . أخرجه أحمد في (المسند)(١/٢٠٥) والطبراني في (الكبير)(٢٣/١٠) والحاكم(٣/١٨٤ ، ١٨٥) وانظر(الذرية الطاهرة النبوية)للإمام الحافظ / أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي(٢٢٤-٣١٠هـ) حققه وخَرَّج أحاديثُ – سعد المبارك الحسن- الدار السلفية – الكويت.

بناء الكعبة وقضية التحكيم :

ولخمس وثلاثين سنة من مولده ﷺ قامت قريش ببناء الكعبة ، وذلك لأن الكعبة كانت رضما فوق القامة ، ارتفاعها تسعة أذرع من عهد إسماعيل ، ولم يكن لها سقف ، فسرق نفر من اللصوص كنزها الذي كان في جوفها، وكانت مع ذلك قد تعرضت – باعتبارها أثر قديماً – للعوادي التي أدهت بنيانها، وصعدت جدرانها ، وقبل بعثته ﷺ بخمس سنين جرف مكة سيل عرم، انحدر إلى البيت الرحام، فأوشكت الكعبة من على الانهيار، فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصاً على مكانتها ، واتفقوا على أن يدخلوا في بنائها إلا طيباً، فلا يدخلوا فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس، وكانوا يهابون هدمها ، فابتدأ بها الوليد ابن المغيرة المخزومي، وتبعه الناس لما رأوا أنه لم يصبه شيء، ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم أرادوا الأخذ في البناء، فجزأوا الكعبة، وخصصوا لكل قبيلة جزء منها، فجمعت كل قبيلة حجارة على حدة، وأخذوا يبنونها، وتولى البناء بناء رومي اسمه (**باقوم**)، ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه، استمر النزاع أربع ليال أو خمساً، واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضواه ، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله ﷺ، فلما رأوه هتفوا: هذا الأمين، رضيناه، هذا محمد. فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر طلب رداء، فوضع الحجر وسطة، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده، فوضعه في مكانه ، وهذا حل حصيف رضي به القوم.

وقصرت بقريش النفقة الطيبة فأخرجوا من الجهة الشمالية نحو من ستة أذرع ، وهي التي تسمى بالحجر الحطيم، ورفعوا بابها من الأرض ؛ لئلا يدخلها إلا من أرادوا ، ولما بلغ البناء خمسة عشر ذراعاً سقفوه على ستة أعمدة .[1]

الأسئلة :

س١- كم كان عمر النبي ﷺ عند بناء الكعبة المشرفة ؟

س٢- كيف كانت الكعبة في ذلك التاريخ ؟

س٣- كيف تم هدم الكعبة وإعادة بناءها ؟

س٤- كيف تم التحكيم في وضع الحجر الأسود في مكانه ؟

---

(١) انظر (البداية والنهاية)(٢/٢٣٧) لابن كثير (السيرة النبوية) لابن هشام (١/١٩٢)(الرحيق المختوم)(ص٧١-٧٢) لصفي الرحمن المباركفوري.

دنو ساعة طلوع الشمس المحمدّية وظهور نور الإسلام:

لقد بلغ الحبيب الآن الأربعين [ونصف السنة] [١] من عمر ﷺ ، وأخذت ساعة طلوع الشمس المحمدية تقترب ، وها هو ذا ﷺ إن غد لحاجة أو راح لا يمر بشجر ولا حجر إلا قال له : **السلام عليك يا رسول الله،** فيلتفت حوله يميناً وشمالاً فلا يرى أحد سوى الشجر والحجر يسلم علي. فكانت هذه مقدمة الأنباء العظيم .[٢]

طلوع الشمس المحمدية :

وفي ليلة الإثنين من شهر ربيع الأول طلعت الشمس المحمدية حيث صال لا يرى رؤيا في ليله إلا جاءت كفلق الصبح.

وهذا الزهري يروي عن عروة عن خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها قولها : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته ، ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا في نومه إلاَّ جاءت كفلق الصبح، قالت : وحُبِبَ إليه الخلوة : فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلُوَ وحده.

---

(١) هذا ما رجَّحه الحافظ ابن حجر في (الفتح)(١٦٤/٧) ، أن عمر النبي ، ﷺ ، حين أنزل عليه كان أربعين سنة وستة أشهر، وذلك على اعتبار ما ثبت في الصحيح أنه، ﷺ ، بعث على رأس أربعين ، وأنه ، ﷺ أنزل عليه في رمضان ، وعلى المشهور من أن مولده ، ﷺ، في شهر ربيع الأول. أنتهى. قال محقق (مختصر السيرة النبوية) خالد الشايع : وهذا موافق لما ذكره المؤلف حيث لم يذكر الكسور على عادة العرب في ذلك .

(٢)(السيرة النبوية)(٢٣٤/١) لابن هشام.

واختار ﷺ لخلوته المحبّبةّ إليه جبل حراء [١] وهو أحد جبال مكة المطل عليها فكان يخلو به مجاوراً فيه يتحنّث – أي يزيل الحنث عنه – وهو ما يراه ويسمعه من الشرك والباطل بين أفراد قريش.

وفي ليلة من ليالي رمضان المبارك ولعلها السابع عشر من نزل عليه جبريل عليه السلام يحمل بشرى النبوّة تمهيداً لحمل الرسالة إلى الناس كافة.

وها هو إمام المحدثين البخاري – رحمه الله ورضي عنه – يروي لنا عن أمنا عائشة رضي الله عنها قصة بدء الوحي .

إذ تقول : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنّث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع [٢] إلى أهله وتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء.

---

(١) يكلف بعض المسلمين أنفسهم بالصعود على الجبل وزيارته في موسم الحج وغيره ، ويفعلون ذلك تقليداً وابتغاء للأجر ، وبعضهم يتحنثون فيه ، ويظنون موطن دعاء وذكر ، فيأتون بالأدعية والأذكار ، وهذا بدع مردودة على صاحبها ، قال رسول الله ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) رواه البخاري ومسلم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : – رحمه الله – : فإن النبي ﷺ ، بعد أن أكرمه الله بالنبوة لم يكن يفعل ما فعله ذلك التَّحنُّث في غار حراء ، أو نحو ذلك ، وقد أقام بمكة بعد النبوة ، بضع عشرة سنة ، وأتاها بعد الهجرة في عمرة القضية ، وفي غزوة الفتح ، وفي عمرة الجعرانه ، ولجعرانه ، ولم يقصد غار حراء ، كذلك أصحابه من بعده لم يكن أحد منهم يأتي غار حراء ..إلخ (مجموع الفتاوى)(١١/١٨).

(٢) ينزع : يرجع .

فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ﴿ ما أنا بقارىء ﴾. قال : ﴿ فأخذني فغَطَّني [١] حتى بلغ مِنِّي الجَهْد، أرسلني، فقال: اقرأ ، فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق :١-٥] فرجع بها رسول الله ﷺ يَرْجُفُ فؤادُهُ ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : ﴿ زملوني [٢]زملوني﴾ فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوْع[٣]. فقال لخديجة وأخبرها الخبر : ﴿ لقد خشيت على نفسي ﴾ ، فقالت : كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل [٤]، وتكسب المعدوم [٥] وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.[٦]

---

(١) **غطني** : ضمني إليه كما تضم الأم ولدها إلى صدرها رحمة به وشفقة عليه .

(٢) **زملوني** : أدخلوني في ثيابي وغطوني بها.

(٣) **الروع** : الفزع والخوف .

(٤) **التعب** :الحسر من الإعياء.

(٥) **المعدوم** : يعطي المال المن هو عادمه. انظر(صحيح السيرة)(ص٩٢) للألباني.

(٦) تعين القراءة على المسلم وطلب العلم والتعلم ، إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها فيما يأتي:

(١) تقرير سنة غالبة وهي أن الأنبياء يرسلون على رأس الأربعين من أعمارهم.

(٢) بيان آية النبوة المحمدية وهي سلام الأشجار والأحجار عليه ﷺ.

(٣) تقرير أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة إذ فترة الوحي كانت ثلاثاً وعشرين سنة منها ستة أشهر كانت مناماً.

(٤) مشروعية العزلة إذا فسد الناس وأصبح المؤمن لا يسلم من شرهم .

(٥) بيان أن أول ما نبّيء به النبي ﷺ هو ﴿ **اقرأ باسم ربّكَ**﴾وأن النبوة كانت قبل الرسالة ؛ إذ نبّيء ﷺ باقرأ وأرسل بالمدثر وبينهما فترة من الزمن .[١]

الأسئلة :

س١- صف حال النبي عندما بلغ سن الأربعين وستة أشهر ؟

س٢- كيف كان يرى رسول الله ﷺ الرؤيا ؟

س٣- أين كان يختلي بخلوته ﷺ ؟

س٤- ماذا فعل به الملَك عنما وجده في المكان الذي يختلي فيه ؟

س٥- لهذه السيرة العَطِرَة نتائج وعبر اذكر ثلاث نتائج وعبر منها ؟

---

(١) انظر (هذا الحبيب يا محب)(ص٨٣). (الرحيق المختوم)(ص٧٧)

نور الإسلام تضيء دار خديجة ويطلع على على ورقة بن نوفل .

انطلقت خيجة برسول الله ﷺ حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة – وكان امرءا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى – فقالت خديجة: يا ابن عم ! اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزله الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: ﴿**أو مخرجي هّم ؟** ﴾ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزاً، ثم لم ينش ورقة أن توفي وفتر الوحي [1] وحمل خديجة حرصها على تجلّي الحقيقة ومعرفة الأمر على حقيقته ليكون إيمانها بعلم ويقين فأجرت الاختبار التالي : فقالت لرسول الله ﷺ: يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرني بصحابك هذا الذي يأتيك إذ جاءك، قال: ﴿ **نعم** ﴾.قالت : فإذا جاءك فأخبرني به ، فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يجيئه ، فقال رسول الله ﷺ لخديجة : ﴿ **يا خديجة هذا جبريل قد جاءني** ﴾، قالت: قم يا ابن عمر فاجلس على فخذي اليسرى فقام رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليسرى ، قالت هل تراه؟ قال : ﴿**نعم**﴾، قالت: فتحول فاجلس على فخذي اليمنى، فتحول وجلس، وقالت: هل تراه ؟ قال: ﴿**نعم** ﴾. فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها ثم قالت : هل تراه ؟ قال : ﴿ **لا** ﴾ ، قالت: يا ابن عم اثُبت وأبشِر فوالله إنه مَلَك ، وما هو بشيطان.

وبهذا كانت خديجة أول من استضاء بنور النبوّة المحمدية وأول من آمن برسول الله ﷺ والوحي الذي جاءه، كما أن ورقة كان أول الفائزين بالأسبقية لو لا المنيّة اخترمته فلم يشهد ضحى الشمس المحمدية.

نتائج وعبر : إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر منها :

(١) بيان كمال عقل خديجة وصحة علم ورقة ، وفضل كل منهما وكماله الروحي.

(٢) بيان ذكاء خديجة وسلامة فطرتها بإجرائها ذلك الاختبار العجب الذي كانت نتيجة تقرير النبوَّة المحمدية فآمنت على علم وبيقين فرضى الله عنها وأرضاها.

(٣) الملائكة تكون مع الحياء والستر، والشياطين تكون مع الفحش والوقاحة والعري.

(٤) استحباب ستر المرأة رأسها ولو في خلوتها. حتى لا تقربها الشياطين.

الأسئلة :

س١- ماذا فعلت خديجة رضي الله عنها عندما سمعت من رسول الله ﷺ القصة وما حدث له ؟

س٢- كانت خديجة ذكية في هذا الموقف ، ما الدليل على ذلك ؟

س٣- من هو ورقة بن نوفل وهل مات مسلماً ؟

---

(١)(السيرة النبوية)(٢٣٨/١)،(الرحيق المختوم)(ص٧٧- ٧٨) ،(هذا الحبيب يا محب)(ص٨٦ – ٨٧)،(صحيح السيرة النبوية)(ص٩٢).

(٢) المصدر السابق .

فترة الوحي

فتر الوحي أيام [1] وقد بقى النبي ﷺ فيما بلغنا حزنا عدا منه مرارا كي يترى من رؤس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تُبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه ، فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال مثل ذلك.[2] وتمضي الأيام وفجأة وهو يمشي يسمع صوتاً من السماء فيرفع بصره فإذا الملك الذي جاءه بغار حراء قاعد على رفرف بين السماء والأرض ، فرعب من أشد الرعب ورجع إلى أهله يقول : ﴿زملوني زملوني﴾ [3] فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ {٢} وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۞ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۞ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۞ ﴾ [المدثر :١-٧]

---

(١)انظر (فتح الباري)(٢٧/١)،(٣٦٠/١٢)

(٢)(الرحيق المختوم)(ص٧٩ -٨٠) ،(صحيح السيرة)(٩٦ ، ٩٧) للإمام محمد ناصر الدين الألباني-رحمه الله- (هذا الحبيب يا محب)(٨٧ -٨٨)

(٣) رواه البخاري –كتاب التفسير باب والرجز فهجر(٧٣٣/٢)

نتائج وعبر : إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نلخصها فيما يلي :

(١) تشويق الرسول ﷺ إلى الوحي بانقطاعه عنه مدة من الزمن الأمر الذي تألم له رسول الله أشد الألم.

(٢) لطف الله تعالى ورحمته بنبيّه ﷺ إذ كان يرسل إليه جبريل يناديه ويطمئنه ويبشره بأنه رسول الله حقاً .

(٣) بيان أول ما أرسل به ﷺ وهو النذارة ، والبشارة لازمة لمن قبل النذارة فآمن ووحّد الله في عبادته ، وتابع الرسول فيما جاء به.(٤)

الأسئلة :

س١- لماذا يصعد الرسول إلى قمم الجبال ؟

س٢- من الذي يبدىء له عندما يصعد إلى قمة الجبل ؟

س٣- ما مناسبة نزول سورة المدثِّر ؟

---

(١) المصدر رقم(١) (أسباب النزول) سورة المدثر – لجلال الدين السيوطي .

دعوته ﷺ السرية [1] خلال الثلاث السنوات الأولى:

ومن هنا بدأ ﷺ دعوته السرية بعرضها على من يرى فيه الإستعداد لقبولها فكان أول من أسلم من الصبيان خديجة بنت أم المؤمنين – رضي الله عنها وأرضاها وأول من أسلم من الصبيان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إذ أسلم وعمره عشر سنين ، وصلى مع رسول الله ﷺ متخفيْين بصلاتهما عن أعين قريش.

وأول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة بن شُرَحْبيل الكلبي ، وكان عبداً لحكيم بن حزام فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد ، وهي زوجة لرسول الله ﷺ يومئذ فاستوهبه منها رسول الله ﷺ فوهبته إياه ، فعتقه ﷺ وتبنّاه وذلك قبل البعثة النبوية . وكان زيد قد خرجت به أمه وهو ابن ثمانية أعوام لِتُزِيره بعض أقربائه فأصابته خيل من بني القين فباعوه في سوق حَبّاشة من أسواق العرب ، فاشتراه حكيم بن حزام في جملة أعبد ووهبه خديجة كما تقدم وقد حزن لفراقه والده وقال فيه قصدية منها الأبيات التاية :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحيٌ فُيرجى أم أتى دونه الأجلْ

فوالله ما أدري وإني لسائل ... أغالك بعدي السهل أم أغالك الجبلْ

ويا ليت شِعري هل لك الدَّهرَ أوبَةٌ ... فحسبي من الدنيا رُجوعُك لى بَجَل

تذكّرنيه الشمس عند طلوعها ... وتعرض ذكراهُ إذا غربُها أفلْ

وإن هبت الأرياح هيجن ذكْرَهُ ... فيا طول ما حزني عليه وما وَجَلْ

سأعمل نصَّ العيس في الأرض جاهداً ... ولا أسأمُ التطوافَ أو تسأم الإبل

حياتي أو تأتي عليَّ مَنِيّتي ... فكل امرىء فانٍ وإن غرَّه الأمل

---

(١)هذا كان في أول الدعوة، أما الآن فالدعوة تكون جهراً لا سراً ، فإن لا سريّة في الدعوة. حتى بعض السلف أنكر من يعلِّم الناس الدين مستخفياً عن الناس.

وبعد زمن قدم والده مكة وعرف وعرّف ولده زيداً ، وخيَّره الرسول ﷺ بين الذهاب مع والده وبين البقاء معه فاختار رسول الله ﷺ ولذا عتقه وتبنّاه وكان يعرف بزيد بن محمد حتى جاء الإسلام وحرَّم التبنّي فأُبح يُعرَفُ بزيد ابن حارثة بدل محمد ﷺ.

نتائج وعبر : إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر منها :

(١) بيان ما أمر رسول الله ﷺ بعد فترة الوحي من النذارة والتوحيد ، والطهارة ، والاستمرار على هجران الأوثان.

(٢) بيان أن أول من أسلم من النساء خديجة ، ومنالصبيان على ، ومن الرجال أبو بكر ومن الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) بيان سبب عتق زيد وتبنّي الرسول ﷺ له، وهو اختياره للرسول ﷺ دون والده وعمه.

الأسئلة :

س١- كيف بدأت دعوة الرسول ﷺ السرية ؟

س٢- من أول من أسلم من الصبيان والرجال والموالي

س٤- زيد حزن على فراق ابنه وأنشد أبيات أذكر أربعة أبيات منها ؟

إسلام أبو بكر الصديق ﷺ وأثره في الدعوة

كان أبو بكر الصديث رضي الله عنه في سنٍ قريب من سن الرسول ﷺ وكان ذا حَسبٍ ونسب في ديار مكة وسكَّانها ، وهو وإن لم يكن هاشميّاً فهو تَيْمِيٌّ قُرشِيٌّ عظيم ، يمتاز بحسن الخلق ، وكرم النفس ، والمعرفة بأنساب العرب حتى إن ليضرب به المثل في ذلك . وما إن أسلم ﷺ عن قناعة وعلم بما يدخل فيه من دين الله تعالى حتى أخذ يّتصل بخيار رجالات قريش في مكة يعرض عليهم الإسلام سِرّاً فأجابه وأسلم على يديه نخبة ممتازه كان لها الأثر الكبير في نشر الدعوة داخل مكة وخارجها . وأفراد هذه الطليعة هم :

* **عثمان بن عفان** بن أبي العاص بن أميٌّ بن عبد الشمس الخليفة الراشد ورضي الله عنه وأرضاه ، ويكنى بأبي عبد الله ، وبأبي عمرو.

ويلقب بذي النورين لتزوجه بابنتي رسول الله ﷺ ؛ رقية، وأم كلثم رضي الله عنهما .

* **الزبير بن العوام** بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي ، يكنى بأبي عبد الله وهو حواريّ رسول الله ﷺ، وابن عمته صفيّة بت عبد المطلب.

* **عبد الرحمن بن عوف** بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشيّ ، ذو الهجرتين رضي الله عنه وأرضاه.

* **سعد بن أبي وقاص** واسم أبي وقاص – وهو والد سعد – مالك بن أُهَيْب بن عبد مناف القرشي ، خال الحبيب ﷺ إذ جد سعد أُهيب عم آمنة بنت وهب أم النبيّ ﷺ. وكان رضي الله عنه مجاب الدعوة حتى قيل فيه : احْذَروا دعوة سعد.فرضى الله عن سعد وأرضاه .

* **طلحة بن عبيد الله** بن عثمان بن عمرو بن كعب القرشي يُكنى بأبي محمد الفياض أحد العشرة المبشرين بالجنة ، قتل في وقعة الجمل – رضي الله عنه وأرضاه. فهولاء النفر الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ، يُضاف إليهم عليٌ وزيدٌ وأبو بكر الصديق فيصبحون ثمانية أنفار هو أهل السبق في الإسلام إذ آمنوا مع رسول الله ﷺ قبل كل أحد من الناس باستثناء السدة خديجة رضي الله عنها إذ كانت أوّل المؤمنين .

نتائج وعبر : إن لهذه المقطوعة نتائج وعِبر منها :

(١) بيان فضل أبي بكر الصديق .

(٢) بيان فضل الدعوة ، وفضل من يهدي الله على يديه فرداً أو أفراداً.

(٣) بيان شرف هؤلاء الثمانية لسبقهم في الإسلام إذ أثنى تعالى عليه في قوله : **﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾**[التوبة:١٠٠]

الأسئلة :

س١- من هم الخمسة من الصحبة الأوال الذين أسلموا ؟

س٢- لماذا لُقِّبَ عثمان بذي النورين ؟

س٣- لهذه المقطوعة من السيرة النبوية العطرة نتائج وعِبر ما هي ؟

*** أفواجُ السابقين بعد الأولين :**

وما إن أسلم أولئك النفر الكرام حتى تتابع أشراف قريش يدخلون في الإسلام فيؤمنون بالله ربّاً وإلهاً لا إله غيرهُ ولا ربٍّ سواه وبمحمد نبيّاً ورسولاً، وبالقرآن هدىً ونوراً ، فأسلم :

أبو عبيدة عامر بن الجرّاح القرشي الملقب أمين هذه الأمة ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو الذي انتزع من رسول الله ﷺ حلقتي الدع يوم أحد فسقطت بذلك ثناياه رضي الله عنه وأرضاه .

وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال القرشي ، وأمه بّرة بنت عبد المطلب فهو ابن عمة رسول الله ﷺ هاجر الهجرتين وشهد بدراً وتوفس سنة ثلاث من الهجرة ، وتزوج رسول الله ﷺ امرأته إكراماً الله تعالى لها ولأبي سلمة رضي الله عنهما وأرضاهما.

والأرقم بن أبي الأرقم وهو عبد مناف بن أسد القرشي أسلم عاشر عشرة وكان النبي ﷺ قد استخفى في داره بالصفا يدعو الناس إلى الإسلام سِرّاً حتى اكتمل عدد المسلمين أربعين رجلاً ، وكان آخرهم إسلاماً عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ويومئذ خرجوا من الدار وصلّوا جهرة حول الكعبة.

*** وعثمان بن مظعون** القرشي، ويكنى بأبي السائب وهو أخ للنبي ﷺ من الضاع وهو أول مهاجر توفي بالمدينة النبويّة، ومن فضائله وكمالاته الروحية أن امتنع من شرب الخمر في الجاهلية قبل الإسلام ، وقال : لآ أشرب شراباً يُذهب عقلي ، ويُضحك بي من هو أدنى منّي ويحملني على أن أنكح كريمتي.

* **وعبيدة بن الحارث** بن المطَّلب بن عبد مناف بن قصي القرشي، وكان أسنَّ من النبي ﷺ بعشر سنين هاجر إلى المدينة مع أخويه الطفيل وحصين أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، وكانت له منزلة عند رسول الله ﷺ ، وقدراً، يكنى بأبي الحارث رض الله عنه وأرضاه.

* **وسعيد بن زيد** بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وصهره إذ كانت تحته فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها التي كانت إسلام أخيها عمر رضي الله عنهما

* **وأسماء وعائشة بنتا الصديق** أسلمت عائشة وهي طفلة صغيرة وأما أسماء فكانت متزوجة بالزبير بن العوام حين أسلمت فرضي الله عنهما وأرضاهما.

* **وخبّاب بن الأرت** حليف بني زهرة التميمي .

* **وعبد الله بن مسعود** بن أم عبد الهذلي.

* **وعمير بن أبي وقاص** أخو سعد بن أبي وقاص.

* **ومسعود بن القاريء** بن ربيعة وهم قوم رماة لقبوا بالقارة.

لقد بلغ المسلمون هذا العدد الكبير وما زالت الدعوة سِرّاً لم يجهر بها بين صفوف قريش، لأن هذا العدد غير كافٍ في دفع ما يتوقّعُ من أذىً تصيب به قريش، وقبل كل شيء أن الله تعالى لم يأذن بعد لرسوله والمؤمنين بالجهر بالدعوة ن ولو أذن لهم لجهروا بها وكلفهم ذلك ما كلفهم ، وسيأتي اليوم الذي يؤذن له وسوف يتعرضون لألوان من التعذيب والاضطهاد ويتلقون ذلك بطيب نفس ورحابة صدر ؛ لأنه في ذات الله ، وما كان في ذات الله فهو محبوب للحبيب الصادق ﷺ.

نتائج وعبر : لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نجملها فيما يلي :

(١) بيان فضل السبق في الخير وأهله.

(٢) تقرير مبدأ وضعه رسول الله ﷺ وهو قوله ﴿ **خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**﴾[١]

(٣) بيان فوز الأرقم بن أبي الأرقم بمنقبة عظيمة وهي اتخاذ داره مركزاً للدعوة أيام ضعفها واستخفائها وهي أحرج أوقات مرت بها الدعوة .

(٤) بيان فضيلة فاطمة بنت الخطاب بسبقها للإسلام وهداية أخيها عمر بسببها .

(٥) إن من النساء من فزن بالسبق في الإسلام وهن عائشة ، و أسماء بنتا الصديق ، وفاطمة بن الخطاب ، وأسماء بنت عميس امرأة جعفر ، وأم سلمة امرأة أبي سلمة أم المؤمنين وغيرهن رضي الله عنهن وأرضاهن. [٢]

الأسئلة :

س١- اذكر أربعة من السابقين بعد الأولين ؟

س٢- لهذه المقطوعة من السيرة النبوية الشريفة نتائج وعبر ما هي ؟

س٣- اذكر أربعة نساء من السابقات في الإسلام ؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) انظر(صحيح السيرة النبوية)(١١٨) للألباني ، (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص٩٠ – ٩٧) لأبي بكر جابر الجزائري .

* الدعوة جهاراً :

أول أمر بإظهار الدعوة :

أن أول ما فعل رسول الله ﷺ بعد نزول قوله تعالى : ﴿ أَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]أنه دعا بني هاشم فحضروا ، ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف ، فكانوا خمسة وأربعين رجلا.

فبادره أبو لهب وقال : وهؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصُّباة. واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وأنا أحق من أخذك ، فحسبك بنو أبيك ، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش ، وتمدهم العرب ، فما رأيت أحدا جاء على بني أبيه بشر مما جئت به ، فسكت رسول الله ﷺ ، ولم يتكلم في ذلك المجلس.

ثم دعاهم ثانية وقال : ﴿ **الحمد لله أحمده ، وأستعينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.** ﴾ ثم قال : ﴿ **إن الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هو ، إني رسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، وإنها الجدنة أبدا أو النار أبدا** ﴾ فقال أبو طلب: ما أحب إلينا معاونتك ، وأقبلنا لنصيحتك ، وأشد تصديقنا لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون ، وإنم أنا أحدهم غير أني أسرعهم إلى ما تحب ، فامض لما أمرت به.

فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك ، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب . فقال أبو لهب : هذه والله السوأة ، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم ، فقال أبو طالب : والله لنمنعه ما بقينا. (٢)

---

(١) (جامع الأصول من أحاديث الرسول) لابن الأثير. (الرحيق المختوم)(ص٩٢)

وبعد ما تأكد النبي ﷺ من تعهد أبي طالب بحمايته ، وهو يبلغ عن ربه ، قام يوماً على الصفا فصرخ : ياصباحاه : فاجتمع إليه بطون قريش ،و فدعم إلى التوحيد والإيمان برسالته وباليوم الآخر.

وقد روى البخاري – رحمه الله – طرفاً من هذه القصة عن ابن عباس ٠ قال : لما نزلت : ﴿ أَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي يا بني فهر ! يا بني عدي ![لبطون قريش] حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطيع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ؟ فجاء أبو لهب وقريش ٠ فقال : ﴿أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تُغير عليكم ، أكنتم مصدقي ؟ ﴾ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال : ﴿ فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .﴾ فقال أبولهب : تبا لك سائر اليوم ٠ ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ﴿ تبت يد أبي لهب﴾ [المسد:١][(١)]

(١)أحمد(١/٢٨١و٣٠٧) ، والبخاري(١٣٩٤و٣٥٢٥و٣٥٢٦و٤٧٧٠ و٤٨٠١و٤٩٧١و٤٩٧٢و٤٩٧٣) ، ومسلم(٣٥٥و٥٥٦– عبد الباقي) وابن جرير(٣١٩/٢) وانظر(صحيح السيرة النبوية)(ص١٣٥) للألباني ٠ (الرحيق المختووم)(ص٩٣) للمباركفوري ٠

وعن أبي هريرة قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿أَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ {٢١٤} ﴾ [الشعراء:٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشاً ، فعم وخصَّ ، فقال :﴿ **يا معشر قريش ! أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب [بن لؤي] ! أنقذوا أنفسكم من النار ، [يا بني عبد مناف ! أنقذوا أنفسكم من النار] ، يا معشر بني هاشم ! أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب ! أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فطمة بنت محم ! أنقذي نفسك من النار ، فإني – والله لا أملك لكم من الله شيئاً ؛ إلا أن لكم رَحِماً سأبلها ببلالها .**﴾ [١] **وكانت المدة التي دعا فيها رسول الله ﷺ أصحابه سِرّاً ثلاث سنوات** لا غير ثم أمر بالجهر فجهر امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر:٩٤]

نتائج وعبر : إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نذكرها فيما يلي :

(١) المدة التي كانت فيها الدعوة سراً وهي ثلاث سنوات.

(٢) بيان مقتضى سرية الدعوة وهو قلة المؤمنين وكثرة المشركين.

(٣) الجهر بالدعوة كان بأمر الله تعالى.

(٤) بيان سبب نزول سورة المسد ، وهو قول أبي لهب لرسول الله ﷺ .

(٥) بيان أنه لا دليل لمن يرى سريّة الدعوة في بلاد المسلمين اليوم في سريّة الرسول ﷺ لها ثلاث سنوات ؛ لأن الرسول وأصحابه كان لا يسمح لهم أن يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ولآ أن يؤذّنوا أو يصلوا ، ولما قويت شوكتهم أمروا بالجهر بالدعوة ، فجهروا ولاقوا من الأذى ما هو معروف بين المسلمين.

الأسئلة :

س١- كيف كانت الدعوة ظاهرة في أول الأمر ؟

س٢- دعا الرسول ﷺ فعمَّ وخصَّ اذكر دليلاً على هذا التعميم أو التخصيص ؟

س٤- ما سبب نزول سورة المسد ؟

س٥- كم كانت المدة التي دعا فيها رسول الله ﷺ سراً ؟

س٦- دعا الرسول ﷺ جهراً إمتثالاً لقوله تعالى ؛ ما الدليل على ذلك ؟

قصة إسلام حمزة ﷺ .

لقد مر يوماً أبو جهل عليه لعائن الله مرَّ برسول الله ﷺ وهو عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره فلم يردَّ عليه رسول الله ﷺ ولم يكلّمه ، وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ما قاله أبو جهل ، وشاء الله تعالى أن يمر حمزة راجعاً من قنص له متوشحاً قوسَه ، فقالت له المرأة يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن خيك محمد آنفاً من أبي الحكم عمرو بن هشام وجدَهُ هاهنا جالساً فآذاه وسبّه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف ولم يكلمه محمد ﷺ فاحتمل حمزة الغضب فخرج يسعى ولم يلتفت إلى أحد حتى أتى أبا جهل وهو جالس في نادي القوم حول المسجد فضربه بالقوس فشجَّ رأسه شجّة منكرة ، ثم قال أتششتمه وأنا على دينه أقول ما يقول فَرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعت ٠ فقام رجال من بني مخزوم لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل دعوا أبا عمارة فإني والله قد سببت ابن أخيه سبّاً قبيحاً ؛ وثبت حمزة من ساعتئذ على ما قاله ، فأسلم وحسن إسلامه ، ويومها عرفت قريس أن رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع بإسلام عمه حمزة المعروف بينهم أعزّ فتىً في قريش. [1]

---

(١) رواه أحمد في (المسند)(٢/٣٦٠ و٥١٩) ، ومسلم(٣٤٨) من طريق موسى بن طلحة ، وأحمد أيضاً (٢/٣٥٠و٣٩٨و٤٤٨) ، والبخاري(٢٧٥٣و٣٥٢٧و٤٧٧١)، ومسلم(٣٥١) من طرق أخرى؛ كلهم عن أبي هريرة٠ انظر(صحيح السيرة النبوية)(١٣٥ – ١٣٦) للإمام الألباني.

قصة إسلام عمر ﷺ.

مرَّ عمر برجل مخزومي قد أسلم فعابه عمر فرد عليه الرجل ، بأنه إن أسلم هو فقد أسلم من هو أحقّ باللوم والعتاب منّي يا عم.قال عمر : من هو ؟ قال الرجل: أختك وختنك – أي صهرك – فذهب عمر إلى دار أخته فاطمة وهي تحت **سعد بن زيد**، وسأل ما هذا الذي بلغني عنكما ؟ فردَّا عليه ، وما كان إلا أن ضرب رأس أخته فأدماه، فقامت إليه وقالت : وقد كان ذلك على رغم أنفك فاستحيا عمر حين رأى الدم يسيل من رأس أخته ، وجلس، وقد رأى بينهما كتاباً ، فقال أروني هذا الكتاب ، فقالت له فاطمة إنه لا يمسه إلا المطهرون.

فقام عمر فاغتسل ، فأخرجا له صحيفة فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال : أسماء طيِّبة طاهرة ﴿طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ۞ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۞ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۞ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۞ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۞اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى۞ ﴾ [طه: ١-٨] فتعظم ذلك في صدر عمر وأسلم ، وقال لهما : أين رسول الله ﷺ ؟ فقالت له في دار الأرقم. فذهب إلى دار الأرقم ، فقرع الباب ، ففزع من في الدار فقال له حمزة : مالكم ؟ قالوا : عمر. قال : افتحوا له الباب ، فإنه إن أقبل قبلناه وإن أدبر قتلناه.

وكان رسول الله ﷺ في حجرة من الدار ، فلما سمع الحديث خرج فتشهّد عمر ، فكبّر أهل الدار تكبيرة سمعها من في المسجد ، وقال عمر: ألسنا على الحق يا رسول الله ؟ قال : (**بلى**) قال: ففيم الاختفاء فخرجوا صفين، عمر في أحدهم وحمزة في الآخر، وقد كان أسلم قبل عمر بثلاثة أيام، ولما دخلوا المسجد ورأيتهم قريش وبينهما حمزة وعمر أصابتهما كآبة وحزن شديد. وسمى النبيّ ﷺ ساعتها عمر الفارق.[1]

(١) السيرة النبوية)(٢٩١/١) لابن هشام ،(هذا الحبيب يا محب)(ص٩٩) لأبي بكر جابر الجزائري.

عروض قريش التي قدمتها على رسول الله ﷺ ليصدوه عن دعوته :

عرض أبو الوليد عتبة بن ربيعة :

عتبة بن الوليد يُبعث من قبل المشركين ليعرض على رسول الله ﷺ ما رأوه حلاً للمشكلة في نظرهم . قال ابن إسحاق بسنده ، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله ﷺ في المسجد وحده : يا معشرقريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلِّمَه وأعْرضَ عليه أموراً لعلَّه يقبل بعضها فنعطيه أيَّها شاء ، ويكفّ عنَّا ؟ وذلك حين أسلم حمزةُ ، ورأوْا أصحاب رسول الله ﷺ يزّيدونويكثرون ؛ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قُم إليه فكلِّمه ؛ فقام إليه عُتبةُ حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا بن أخي ، إنك منَّا حيثُ قد علمتَ به جماعتهم وسفهَّت به أحلامم وعِبْتَ به آلهتهم ودينهم وكفَّرت به مَنْ مضى من آبائهم ، فاسمع منِّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها : فقال رسول الله ﷺ

: **قل يا أبا الوليد ، أسمِع** ؛ قال يا بن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد مُلْكاً ملكَّناك علينا ؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رَئياً[1] تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك ، طَلَبْنا لك الطبَّ ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه ، فإنه بما غلب التابع [2] على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له . حتى إذا فرغ عتبةُ ، ورسولُ الله ﷺ يستمع منه ، قال : **أقد فرغتَ يا أبا الوليد** ؟ قال : نعم ؛ قال :

---

(١)الرئى(بفتح الراء وكسرها) ما يتراءى للإنسان من الجن.

(٢)من يتع الناس من الجن.

فاسمع مني ؛ قال : أفعل ؛ فقال :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم– حم ۞ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ۞ ﴾ [فصلت:١-٦] (١)

فلما سمعها منه عتبةُ ، أنْصت لها ، وألقَى يَدَيْه خَلْفَ ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ؛ ثم انتهى رسولُ الله ﷺ إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ماسمعت ، فأنت وذاك .(٢)

ما أشار به عتبة على أصحابه :

فقام عتبةُ إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله جاءكم أو الوليد بغير الوَجْه لبذي ذهب به.

فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا والوليد ؟ قال : ورائي أنّي سَمعتُ قولاً والله ما سمعتُ مثله قطُّ ، والله ما هو بالشِّعر، ولا بلسِّحر، ولا بالكهانة ، يا معشر قُريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، وخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعَتزِلوه ، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعتُ منه نبأٌ عظيم ، فإن تُصبْه العرب فقد كفيموه بغيركم، وإن يَظْهَرْ على العرب فمُلكهُ مُلْككم وعزّه عزّكم ، وكنتم أسعد الناس به ؛ قالوا: سَحَرَك والله يا أبا الوليد بلسانه ؛ قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم.(٣)

---

(١)انظر(روضة الأنوار في سيرة النبي المختار)(ص٩٤) صفي الرحمن المباركفوري – طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية)الطبعة الأولى(١٤٢٤هـ).

(٢)(السيرة النبوية)(١/٢٩٣-٢٩٤) لابن هشام (صحيح السيرة النبوية)(ص١٦٠) للألباني ٠(الرحيق المختوم)(ص٩٥) للمباركفوري.(٣)(السيرة النبوية)(١/٢٩٤) لابن هشام .

محاولة أبو جهل الفاشلة :

إنه لما فشل رجالات قريش في المساومات التي تقدَّموا بها إلى رسول الله ﷺ وسمعوا ما أيْأَ سهم به رسول الله ﷺ من عدم التنازل عن شيء من دعوته وإن قلّ وعن عدم التزحزح عما يدعو إليه قيد شعرة قام أو جهل ليشفي صدره الذي احتدم غيظاً فأخذ حجراً كبيراً وقال : لأفِلْقَنَّ به رأس محمد ﷺ وهو يصلي ، وتحيّن عدو الله الفرصة ، فلما قام رسول الله ﷺ يصلي حول الكعبة بين الركنين مستقبل البيت ، جاء أبو جهل لعنه الله وتقدم نحو رسول الله ﷺ ليضربه بالحجر ، ورجالات قريش في أنديتهم ينتظرون ما يفعله طاغيتهم عليه لعائن الله ، فلما دنا من رسول الله ﷺ وَلَّى هارباً منتقع اللون مرعوباً قد يبست يداه على الحجر، وقام إليه رجالات قريش يقولون مالك يا أبا الحكم ؟ ما أصابك ؟ قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت من عرض لي دونه فَحْلٌ من الإبلِ ، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قَصَرِه ولا أنيابه قط ، فهَمَّ بي لَيأكلني.

وفي هذه الحادثة نزل قول الله تعالى:﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ فَلْيَدْعُ نَادِيَه ۞ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۞كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۞ ﴾ [العلق:١٥-١٩]

ولما سمع وشاهد هذه الحادثة **النضر بن الحارث** قام في قريش وقال : يا معشر قريش إنه – والله – وقد نزل بكم أمرٌ ما أتيتم له بحيلة بعد ، فقد كان فيكم محمد غلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغه[1] الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن ، ولا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم.

وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه . قلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقة ولا وسوسته ولا تخليطه .

يا معشر قريش فانظروا في شأنكم فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم .

[كان النضر يُسلم لما تبيّن له من الحق ولكن منعه الحسد ؛ إذ هو الذي قال : ﴿وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ الأنفال: ٣٢] ونزل فيه قوله تعالى أيضاً : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۞ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ [المعارج:١-٣]

إذ كان النضر بن الحارث هذا شيطان قريش ، كان أخبثهم نفساً وأشدهم عداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين ؛ إذ هو القائل أنا أحسن حديثاً من محمد ﷺ. ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللّهُ ﴾ [الأنعام:٩٣]

---

(١) صدغه : المكان بين الأذن والحاجب حيث الشعر مسترسل من الرأس ، ولكل إنسان صدغان ، وأول ما يبدأ يظهر فيهما الشيب غالباً . (السيرة النبوية)(٢٩٩/١) لابن هشام (هذا الحبيب يا محب)(ص١٠٣) لأبي بكر الجزائري .

وفد قريش إلى أبي طالب :

رأت قريش أن إنذارهم لم يثجد نفعاً ، فالرسول ﷺ ماض في عمله، وأبو طالب قائم بنصرته .وهذا يعني مستعد لفراقهم وعداوتهم ومنازاتهم في نصرة ابن أخيه محمد ﷺ فلبثوا ملياً يفكرون ويتشاورون ، حتى وصلوا إلى اقتراح غريب، فقد جاءوا إلى أبي طالب، ومعهم عمارة بن الوليد سيد شبابهم وأنهد فتى في قريش وأجمله، فقالوا: يا أبا طالب خذ هذا الفتى ، فلك عقله ونصره ، واتخذه ولداً ، فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل.

قال أبو طالب: والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله ما لا يكون أبدا.

اجتماع المشركون لتشويه الرسالة المحمدية وذلك لكف الحجاج عن استماع الدعوة :

خلال هذه الأيام أهم قريشاً أمر آخر ، وذلك أن الجهر بالدعوة لم يمض عليه إلا أشهر معدوة حتى قرب موسم الحج ، وعرفت قريش أن وفود العرب ستقدم عليهم ، فرأت أنه لا بد من كلمة يولونها للعرب في شأن محمد ﷺ حتى لا يكون لدعوته أثر في نفوس العرب ، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة يتداولون في تلك الكلمة، فقال له الوليد: أجمعوا رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً.

قالوا : فأنت فقل ، قال : بل أنتم فقولوا أسمع ، قالوا : نقول: كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما بزمزمة الكاهن ولا سجعه ، قالوا : فنقول: مجنون. قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا لجنون وعرفناه ، ماهو بخنقة ولا تخلجه ولا وسوسته. قالوا : فنقول : شاعر.قال : ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر، قالوا : فنقول : ساحر. قال: ماهو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فماه بنفثهم ولا عقدهم. قالوا : فما نقول ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقول سحر يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك [1] وتفيد الروايات أن الوليد لما رد عليهم كل ما عرضوا له ، قالوا : أرنا رأيك الذي لا غضاضة فيه ، فقال لهم : أمهلوني حتى أفكر في ذلك ، فظل الوليد يفكر ويفكر، حتى أبدى له رأيه الذي ذكر آناً [2] في الوليد أنزل الله تعلى ستة عشرة آية من سورة المدثر : قال تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ۞ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً ۞ وَبَنِينَ شُهُوداً۞ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً ۞ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۞كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً ۞ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً ۞ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۞فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ نَظَرَ۞ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۞سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۞ ﴾ [المدثر :١١-٢٦]

وبعد أن اتفق المجلس على هذا القرار أخذوا في تنفيذه ، فجلسوا بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا له أمره .

---

(١) (السيرة النبوية)(٢٩٩/١)(الرحيق المختوم)(ص٩٦) للمباركفوري .

(٢) (الرحيق المختوم)(ص٩٦)

أساليب شتى المجابهة الدعوة :

لما رأت قريش أن محمداً ﷺ لا صرفه عن دعوته هذا ولا ذاك ، فكروا مرة أخرى ، **واختاروا لقمع هذه العوة أساليب عدة منها :**

١- **السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب والتضحيك** ، قصدوا بذلك تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية ، فرموا النبي ﷺ بتهم هازلة ، وشتائم سفيهة ، فكانوا ينادونه بالمجنون ﴿وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ {٦}﴾ [الحجر:٦]

ويصمونه بالسحر والكذب ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص:٤] وكانوا يشيعونه ويستقبلونه بنظرات ملتهمة ناقمة ، وعواطف منفعلة هائجة ، قال تعالى : ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القلم:٥١]

٢- تشويه تعاليمه وإثارة الشبهات ، بث الدعايات الكاذبة ، فكانوا يقولون أن القرآن حكايات وقصص أولية ماضية : ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً {٥} ﴾[الفرقان:١]

٣- مساومات حولوا بها، يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق أن يترك المشركون بعض ما هم عليه ، ويترك ﷺ بعض ما هو عليه قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ {٩} ﴾[القلم:٩]

وقالوا له مرة : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾.[الكافرون:١-٣]

نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نجملها في الآتي :

(١) إثبات حيرة المشركين إزاء الدعوة المحمدية اليوم.

(٢) بيان استعمل المشركين أسلوب المساومات لإحباط الدعوة وإطفاء نورها .

(٣) ثبات النبي ﷺ ووقوفه كأنه جبل أشّم أمام المساومات والتحدّيات .

(٤) شهادة عتبة بن ربيعة بصحة الدعوة المحمدية وسلامتها وأحقيّتها – وهو من خصومها – لها قيمتها المعنويّة ، كما قيل : (والحقّ ما شهدت به الأعداء).

(٥) بيان تعنّت المشركين وصلفهم وكبريائهم برفضهم دعوة الحق بعد ثبوتها ، ومطالبتهم بأمور ليس تحقيقها من لازم النبوة ولا شرطها في قبول دعوة الحق .

(٦) بيان خبث أبي جهل وشدة عدائه للنبي ﷺ ، ومحاربته لدعوته.

(٧) بيان تأثير القرآن في نفس من يسمعه متدبراً له متفكراً فيه .

أسئلة عامة لما سبق ذكره.

س١- كيف تم إسلام حمزة ﷺ؟

س٢- ماذا قال أبو جهل عندما ضربه حمزه ؟

س٣- ما هي قصة إسلام عمر بن الخطاب ﷺ ؟

س٤- ماذا قالت فاطمة عندما أراد عمر أن يقرأ الكتاب ؟

س٥- لإسلام عمر بن الخطاب أثر عظيم على الصحابة ؛ وضحي ذلك ؟

س٦- ما هي العروض التي قدمتها قريش على رسول الله لكي يصدوه عن دعوته؟

س٧- ماذا كان عرض أبو الوليد ؟

س٨- لما فشلت رجالات قريش في المساومات ، حاول أبو جهل محاولة فاشلة في قتل محمد ﷺ ، ما هي هذه المحاولة ؟

س٩- ماذا قال النضر بن الحارث عندما شاهد حادثة أبو جهل ؟

س١٠- شكلت قريش وفداً وذهبوا إلى عمه أبو طالب ، وذكروا طلباً ما هذا الطلب ، وماذا كان رد أبو طالب عليهم ؟

س١١- ماذا تمخض عن إجتماع المشركون لتشويه الرسالة المحمدية وذلك لكف الحجاج عن استماع الدعوة ؟

س١٢- هناك أسباب شتى لمجابهة الدعوة ، اذكر ثلاثة منها ؟

خيبة المشركين تتحول إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين.

إنه بعد أن بذلت قريش كل ما في وسعها من قوة وحيلة في إطفاء أنوار الدعوة المحمديّة ، وباءت بخيبة مريرة حولت ذلك إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين كبلال وعمار ووالده ياسر وأمه سميّة، وصُهيب الرومي ، وخباب بن الأرت وأبي فهيرة . وأبي فكيهة ومن النساء زِنّيرة ، والنهدية، وأم عُبيس.

أما **بلال** فكان مملوكاً لأميّة بن خلف الجُمحي ، وكان يعذبه بإلقائه في الرمضاء على وجهه وظهره، ويضع الصخرة العظيمة على صدره ، وذلك إذا حميت الشمس وقت الظهيرة ، ويقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعب اللات والعزى، وبلال صابر يردد كلمة: **أحد أحد**، وأخيراً استبدله أبو بكر الصديق بعبد مشرك عنده وأعتقه رضي الله عنهما .

وأما **عمار وأمه ووالده ياسر**، فقد كانوا يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحرّ الرمضاء ، فمر النبيَّ ﷺ وهم يُعذَبون فقال : ﴿ **أبشروا آل عمار وآل ياسر ! فإن موعدكم الجنة** ﴾ [1] فمات ياسر تحت العذاب رحمه الله رحمة واسعة.

وأما **سمية** فقد أغلظت القول لأبي جهل عليه لعائن الله فطعنها بحربة في قبلها فماتت شهيدة ، وكانت أول شهيدة في الإسلام.

---

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك)(٤٣٨/٣)(٥٦٦٦) من طريق أبي الزبير عن جابر ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وأقره الألباني في (صحيح السيرة النبوية)(ص١٥٥)إلا قال : أن أبا الزبير مدلس ، وقد عنعنه . وقد أخرجه عنه ابن سعد(٢٤٩/٣) من الطريق نفسها لم يذكر فيه جابراً . وقد ذكره الهيثمي(٢٩٣/٩) من مسنده ، وقال : (رواه الطبراني في الأوسط) ، ورجاله رجال الصحيح) ، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم ، وهو ثقة) ثم ذكر له شاهداً من حديث عثمان بن عفان مرفوعاً مثله. وقال : (رواه الطبراني ، ورجاله ثقات).

وشدد أعداء الله العذاب على عمار ونوّعوا العذاب عليه فمرّةً بالجرِّ ومرة بوضع الصخرة على صدره ، وأخرى بالغمس في الماء إلى حد الاختناق ويقولون له لا نتركك حتى تسب محمداً ، وتقول في اللات والعزى خيراً وفعل ما طلبوا منه فتركوه ، فأتى النبي ﷺ يبكي فقال : ﴿ ما وراءك ؟ ﴾ فقال : شر يا رسول الله كان الأمر كذا وكذا ، فقال له : ﴿ كيف تجد الأمر في قلبك ؟ ﴾ قال : أجده مطمئناً بالإيمان. فقال ﷺ : ﴿ إن عادوا يا عمار فعد ﴾وأنزل الله تعالى قوله:﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾[النحل:١٠٦]

وأما خباب فقد أسلم سادس ستة فقد عذبه المشركون عذاباً شديداً إذ كانوا يلصقونه ظهره بالرمضاء ثم بالحجارة المحاة بالنار ويلوون رأسه.

وأما عامر بن فهيرة فقد أسلم قديماً قبل دخول الرسول ﷺ إلى دار الأرقم ، وكان من المستضعفين فعذب عذاباً شديداً ، ولم يرده ذلك عن دينه ، وكان يرعى غنماً لأبي بكر ، وكان يروح بها على النبي ﷺ وأبي بكر وهما في الغار طوال المدة التي كان فيها في الغار.

وأما فكيهة وأسمه أفلح أو يسار فقد كان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف الجُمحي أسلم مع بلال فأخذه أمية ابن خلف عليه لعائن الله وربط رجليه حبلاً وأمر به فجُرَّ ثم ألقاه في الرمضاء ، ومر به جَعَلٌ (حشرة معروفة) فقال له أميّة أليس هذا ربك ؟ فقال: الله ربي وربك وربّ هذا. فخنقه خنقاً شديداً ، وكان معه أخوه أبيّ بن خلف فيقول: زده عذاباً حتى يأتي محمدٌ فيخلصه بسحره.

ولم يزالوا يعذبونه كذلك حتى أُغمِيَ عليه فظنوه مات ثم أفاق فاشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه.

وأما النساء زنّيرة وأم عُبيْس ولبيبة والنهدية فقد عُذبن كذلك أشد العذاب من قبل مواليهن ولم يرجعن عن دينهنّ ، فرضى الله عنهن وأرضاهنّ.

نتائج وعبر :إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نذكرها فيما يلي :

(١) تقرير وتأكيد معنى قوله تعالى : ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ {٢}** ﴾ [العنكبوت:٢]

(٢) بيان ما لاقاه المستضعفون المؤمنون من ألوان العذاب ، ولم يردهم ذلك عن دينهم .

(٣) بيان أول شهيد في الإسلام كان سمية أم عمار رضي الله عنها .

(٤) بيان ما كان عليه طغاة المشركين من شدة وغلظة وحنق على المسلمين ، وما انزلوه من عذاب بالمستضعفين من الموالي والعبيد نساءً ورجالاً.

الأسئلة :

س١- كيف تحولت خيبة المشركين إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين ؟

س٢- كيف كان يُعذَّب كل من بلال بن رباح ، وعمار ووالده ياسر وأمه سمية ؟

س٣- كيف كان موقف فكيهة عندما كان يُذِّبه سيده صفوان بن أمية ؟

س٤- لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر ؛ اذكر ثلاث عبر لهذه المقطوعة من السيرة العطرة ؟

المستهزئون بالحبيب محمد ﷺ وما أنزل الله تعالى بهم من أليم العذاب.

إن تلك النقمة التي أنزلها المشركون بالمستضعفين من المؤمنين لم تكن في الحقيقة خاصة بالمستضعفين بل هي عامة في كل المؤمنين ، وعلى رأسهم سيد العالمين محمد ﷺ ، إلا أن الأحرار من المؤمنين كان لهم المنعة ما جعل المشركين لا يقدرون على أن يعذبوهم مثل تعذيب المستضعفين من العبيد والإماء والموالي الأغراب ، وإلا فإنه لم يسلم مؤمن واحد من التعذيب والاضطهاد والاستهزاء به والسخرية منه ، وهذا رسول الله ﷺ قد سخر من واستزىء به ، وشتم ونال منه المشركون مالم ينالوه من كثير من المؤمنين ، وكان شرّ من استهزأ برسول الله ﷺ مَن عناهم الله بقوله : ﴿ **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۞ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞** ﴾ [الحجر:٩٥-٩٦]

وها هي أسمائهم عليهم لعائن الله ، مع بيان حالهم ونهاية حياتهم :

(١) **أبو لهب** : وهو عبد العزى بن عبد المطلب وهو عم النبي ﷺ ، وكان من أشد الناس تكذيباً لرسول الله ﷺ وأكثرهم أذىً له حتى إنه كان يطرح العذرة والنتن على باب النبي ﷺ إذْ كان مجاوراً له ، وكان النبي ﷺ إذا وجد ذلك يقول : ﴿ **أي جوارِ هذا يا بني عبد المطلب ؟** ﴾ ومرّ حمزة مرة بأبي لهب وهو يطرح العذرة على باب النبيّ ﷺ فأخذها وطرحها على رأس أبي لهب.

وكانت امرأته أم جميل العوراء في عداوة الرسول ﷺ وشدة بغضه وقد لقبها الرحمن في كتابه : بحمالة الحطب.

وأخذ الله جل جلاله أبا لهب بمكة إذ أصابه بمرض خبيث يقال له مرض العَدَسَة وكان ذلك يوم هزيمة المشركين ببدر ، فما إن بلغه خبر هزيمة قومه حتى أصيب بمرض العَدَسَةَ ، فمات شرَّ ميتة ، حتى أنهم لم يقدروا على تغسيله فصبوا عليه الماء من بعيد من شدة الرائحة الكريهة التي تفوح من جسمه الذي نضج وتهرَّى [١] بصورة لم يُعرف لها نظير .[٢]

(٢)**الوليد بن المغيرة** : وقد تقدم طرق أعماله الفاشلة في صد الدعوة وكان سبب هلاكه : أنه وطيء سهماً فخدشه فتورمت رجله ، ومات بذلك شَّر ميتة ، وكفى الله ورسوله شره وشر كل مستهزىء.

(٣) **أبو جهل عمرو بن هشام** : وكان من أشد الناس عداوة للرسول الله ﷺ وكنيته أبو الحكم ، وكناه المسلمون بأبي جهل لخبثه وسوء أفعاله وقبيح صنائعه ، هلك ببدر قتله أبنا عفراء ، واحتز رأسه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) **النضر بن الحارث** : وكان من اشدّ الناس تكذيباً للنبي ﷺ وأذى له ولأصحابه ، هلك هذا الطاغية ببدر إذ أسره المقداد بن الأسود ، وأمر ارسول ﷺ بضرب عنقه لكثرة شرّه فقتله عليّ رضي الله عنه.

(٥) **عقبة بن أبي معيط** : الأموي وكان أشد الناس أذىً لرسول الله ﷺ وعداوة له وللمسلمين ، وهو الذي وضع سلى الجزور بين كتفي رسول الله ﷺ وهو يصلي عند البيت ورجالات قريش يضحكون ، حتى جاء فاطمة وكانت جويرية صغيرة فنحته عن رسول الله ﷺ ونالت منه سبّاً وانصرفت رضي الله عنها وأرضاها.

هلك هذا الطاغية الخبيث ببدر أسر بها وهو أول مصلوب في الإسلام وكان أُحمير أزرق العينين شبهُ رسول اله ﷺ بعاقر ناقة صالح ، قُدار بن سالف عليهما معاً لعائن الله.

(٦) **الأسود بن عبد يغوث** : الزهري كان من المستهزئين وكان إذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه هولاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى، وكان يقول للنبي ﷺ مستهزئاً به : أما كُلِّمتَ اليوم من السماء يا محمد ؟!

---

(١) تهرَّى : انسلخ وتساقط. (٢) (هذا الحبيب يا محب) (ص١١٤) لأبي بكر جابر الجزائري.

خرج عدو الله من أهله يوماً فأصابه السموم فاسود وجه ، وأصابته الأكلة (مرض) فامتلأ جسمه قيحاً فمات شر ميتة ، فلا رحمة الله عليه ، ولا خفف عنه يوماً من العذاب .

(٧) **الحارث بن قيس السهمي** : وكان من المستهزئين بالنبي ﷺ ، وكان لجهله وشدة شغفه بالأوثان يأخذ الحجر يعبده ، فإذا رأى غيره أحسن منه تركه وعبد غيره مما رآه أحسن في نظره .

وكان يقول: قد غر محمد أصحابه ووعدهم أن يحيو بعد الموت والله ما يُهلكنا إلا الدهر. وفيه نزل قوله تعالى : ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ {٢٤}**﴾ [الجاثية:٢٣-٢٤]

(٨)،(٩) **أُبَيٌّ وأمية ابنا خلف** : وكان من أشد الناس أذّية لرسول الله ﷺ وعداوة له ولأصحابه ، واستهزاء بدين الله ؛ إذ جاء أُبي عليه لائن الله إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم ففتته بيده وقال : زعمت أن ربك يحيي هذا العظم ! وفيه نزلت قوله تعالى : ﴿ **قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾ [الحجر:٩٥]

وهلِكَ أمية يوم بدر مرذولاً مخزياً شر ميتة ، وهلك أخوه أبيّ بطريق مكة إذ ضربه الرسول ﷺ بحربة في ترقوته في أحد فهلك بها في طريقه إلى جهنم وبئس المصير .

(١٠) **أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة** : وكان ممن يؤذي النبي ﷺ ويعين أبا جهل على ذلك ببدر على حمزة عم الحبﷺ ورضي الله عن حمزة ومن ترضى عن حمزة موقناً موحداً لا يشرك بالله شيئاً.

وهناك كثير من أذى رسول الله ﷺ وأصحابه ، ولكن الله ثبت الرسول ﷺ واصحابه المؤمنين وخذل أهل الشرك والمشركين.

نتائج وعبر : لهذه المقطوعة نتائج وعِبَر نجملها فيما يأتي:

(١) تقرير أن الاستهزاء بالله أو آياته او رسوله كفر موجب للخلود في العذاب كما ان الاستهزاء بالمؤمنين موجب لغضب الله وسخطه على فاعله.

(٢) بيان ما نال رسول الله ﷺ من أذى المشركين ، وكيف قابله رسول الله ﷺ بالصبر حتى نصره الله فأعزه وأعز دينه واذل المشركين وأبطل ديهم.

(٣) تقرير سنة الله في أن أشد بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

(٤) بيان صدق وعد الله تعالى لرسوله في قوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [النحل: ٩٥] فقد كفاه إياهم بأن أهلكم كلهم والرسول ﷺ يشاهد هلاكهم ، وفي فترة وجيزة وزمن قليل.

(٥) إن الآيات والمعجزات لا تستلزم الإيمان فقد رأى ركانة أعظم آية وما آمن.

الأسئلة :

س١- ما الدليل على أن الإستهزاء بالله أو بأياته أو برسوله ﷺ كفر يوجب الخلود في النار ؟

س٢- اذكر خمسة من المستهزئين بالرسول ﷺ ؟

س٣- ماذا فعلت جويرية عندما وضع عقبة بن أبي معيط سلى الجزور بين كتفي رسول الله ﷺ ؟

أول هجرة للمسلين إلى الحبشة :

قال المباركفوري : كانت بداية الاضطهاد في أوساط أو أواخر السنة الرابعة من النبوة، بدأت ضعيفة ، ثم لم تزل يوماً فيوماً وشهر فشهراً حتى اشتدت وتفاقمت في أواسط السنة الخامسة، حتى نبا بهم المقام في مكة ، وأعزتهم أن يفكروا في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم ، وفي الساعة الضنكة الحالكة نزلت سورة الكهف، ردودا على أسئلة أدلى بها المشركون إلى النبي ﷺ، ولكنها اشتملت على ثلاثة قصص، فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عبادة المؤمنين، فقصه أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين، متوكلاً على الله ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً ﴾[الكهف:٦١]

وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجري، ولا تنتج حسب الظاهر دائماً، بل ربما يكون على العكس كامل بالنسبة إلى الظاهر.

وقصة ذي القرنين تُفيد أن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء. وأن الفلاح إنما هو في سبيل الإيمان دون الكفر ، وأن الله لا يزال يبعث من عباده — بين آوانه وأخرى — من يقوم بإنجاء الضعفاء من يأجوج ذلك الزمان ومأجوجه، وأن الأحق بإرث الأرض إنما هم عباده الصالحون.

ثم نزلت سورة الزمر تشير إلى الهجرة، وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقه : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر١٠] وكان رسول الله ﷺ قد علم أن أصحمة النجاشي ملك الحبشة ملك عادل لا يُظلَمْ عنده أحد ، فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فرار بدينهم من الفتن.

وفي رجب سنة خمس من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة.

كان مكوناً من اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة ، رئيسهم عثمان بن عفان ، ومعه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ ، وقد قال النبي ﷺ فيهما : **﴿إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام ﴾** (١)

كان رحيل هؤلاء تسللا في ظلمة الليل – حتى لا تفطن له قريش – خرجوا إلى البحر، ويمموا ميناء شعيبة، وقيضت لهم الأقدار سفينتين تجاريتين أبحرتا بهم إلى الحبشة ، وفطنت له قريش، فخرجت في آثارهم، لكن لما بلغت الشاطىء كانوا قد انطلقوا آمنين، وأقام المسلمون في الحبشة في أحسن جوار.ولما علمت قريش باستقرار المهاجرين بالحبشة ، وإيواء ملكها له، وإكرامه له خافت عواقب ذلك ، فكونت وفداً من عمرو بن العص السياسي المشهور وعبد الله بن أبي أميّة، وحملتهما هدية فاخرة إلى الملك النجاشي وإلى أعيان رجاله لتستميلهم نفسياً فيردوا المهاجرين قسراً إلى مكة لتعذيبهم وتعويذهم عن أيّة حركة إيجابية تنتصر بها دعوة الإسلام.

ووصل الوفد يحمل الهدايا وقدّمها فعلا إلى النجاشي وأعيان رجال الحكم ، إلا أن الوفد بدأ في تقديم الهدايا بأعيان رجال النجاشي وأخرهُ هو، سياسة منه ليحصل على دعم الأعيان عند مطالبة الملك برد المهاجرين إلى مكة.

ولما فرغ الوفد تقديم الهدايا تكلم عمرو وقال للملك ورجاله: إن ناساً من سفهائنا فارقوا دينهم وجاءوا بدين جديد مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم.

وما إن فرغ عمرو بن كلامه حتى أشار أصحاب النجاشي بتسليم المهاجرين إلى وفد قريش متأثرين بالهدايا ، وما وعدوا به الوفد من المساعدة.

---

(١) انظر(الرحيق المختوم)(ص١٠٩)،(مختصر سيرة الرسول)(ص٩٢-٩٣) للشيخ عبد الله النجدي.

وهنا قال النجاشي: لا، والله لا أسلم قوماً جاوروني ، ونزلوا بلادي ،واختاروني على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان، فإن كان صادقين سلمتهم إليهما، وإن كانوا غير ما ذكر هذان منعتهم ، وأحْسَنْتُ جِوارهُم.

ثم أرسل النجاشي إلى المهاجرين أصحاب النلبيّ ﷺ فحضروا وهم مجمعون على أن يقولوا الحق سره أو أساءه ، وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال لهم النجاشي: مالذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل ؟ فقال جعفر: أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصِدقه وأمانته وعفته وفدعانا لتوحيد الله ، وأن لا نشرك به شيئاً ، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام، وعدّد عليه أمور الإسلام ، فآمنا به وصدقناه ، ورمنا ما حرّم علينا، وحللنا ما احل لنا، فتعدّى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان.

فلما قهرونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك عن سواك ورجوناك أن لا نُظْلَم عندك أيها الملك.

وهنا نطق الملك وقال : هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟ قال نعم فقرأ عليه قرآنا، فبكى النجاشي وبكى أساقفته ، وقال النجاشي : إن هذا والذي جاءبه عيس يخرج من مشكاة واحدة ، وقال لَرجُلَي الوفد : انطلقا ، والله لا أسلمكم إليكما أبداً.

فلما خرجا قال عمرو والله لآتينّه بما يُبيد خَضْراءهم فقال له عبد الله: لا تفعل فإن لهم أرحاماً ، وكان عبد الله أتقى من عمرو.

فلما كان الغد أتيا النجاشي وقال له عمرو : إن هؤلاء يقولون في عيس ابن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل النجاشي إليهم فجاءوا ، فسألهم عن قولهم في المسيح فقال : نقول الذي جاءنا بن نبيّنا هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم والعذراء البتول ، فأ×ذ النجاشي عوداً في الأرض وقال : ما عدا عيس ما قلت هذا الودَ ، فنخرت[1] بطارقته فقال لهم: وإن نخرتم ، وقال لجعفر وأصحابه اذهبوا فأنتم آمنون ، ما احب أن لي جبلاً من ذهب وأنني آذيت رجلاً منكم !!

ورد هديه قريش وقال : ما أخذَ الله الرشوة[2] من حتى آخذها منكم ، ولا أطاع الناس في حتى أطيعهم فيه وأقام المسلمون بخير دار ، وأحسن جوار.[3]

---

(١) يقال : نخر إذا رفع صوته بخيشومه.

(٢) يريد حين رد الله عليه ملكه .

(٣)(السيرة النبوية)(٣٣٢/١-٣٣٨)(زاد المعاد)(٩٧/١)(صحيح السيرة النبوية)(ص١٦٤- ١٨٧) للألباني ، (الرحيق المختوم)(ص١١١)(هذا الحبيب يا محب)(ص١٢٣- ١٢٥)

نتائج وعبر : إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نوجزها فيما يلي :

(١) بيان ظلم قريش للمسلمين بلغ حداً لم يتجاوزه ظلم عرفه العرب في بلادهم.

(٢) بيان خيبة وفد قريش وفشله في مهمته ؛ لأنه يحارب الله في أوليائه، ومن يحارب الله يُزم ، ويخسر في الدنيا والآخرة.

(٣) بيان كمال جعفر بن أبي طالب العلمي والديني ، فرضيَ الله عنه وأرضاه.

(٤) بيان كمال أصحم النجاشي إيماناً وعلماً وكرماًو حسن جوار، فرحمه الله رحمة واسعة.

(٥) حرمة الرشوة وسوء أحوال أهلها معطين وآخذين.

(٦) مشروعية الهجرة وهي الانتقال من بلد الكفر حيث تعذر على العبد أن يعبد الله إلى دار يتمكن فيها من عبادة الله تعالى دون تعذيب .

(٧) بيان أول هجرة وقعت في الإسلام وهي الهجرة الأولى إلى الحبشة.

(٨) بيان فضل أصحاب الهجرة إلى الحبشة ومن بينهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت النبي ﷺ .

(٩) بيان خطر الشائعات إذ بها رجع المهاجرون ولاقوا ما لاقوا من العذاب حتى اضطروا إلى الهجرة مرة ثانية.

الأسئلة :

س١- كيف استوحى المسلمون الهجرة إلى الحبشة ؟

س٢- ذُكِرَ قصص في القرآن الكريم تُرشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين ، ما هذه السوَّر ؟

س٣- اذكر الآية التي تُشير إلى أرض الله واسعة ؟

س٤- في أي سنة هاجر المسلمون إلى الحبشة ؟

س٥- كم كان عدد المهاجرين إلى الحبشة ، من الرجال والنساء ، ومن كان رئيس المهاجرين ؟

س٦- نشاط : يقوم بعض الطلبة بيان توضيحي للمحادثة التي صارت بين النجاشي والمسلمين والمشركين ؟

هجرة أبي بكر الصديق الأولى :

إن أبا بكر لما هاجر ذلك العدد الكبير من المسلمين إلى بلاد الحبشة ورأى اشتداد ضغط المشركين على المسلمين مع قلة الناصر ، وإنه لم يقدر على أن يدفع عن أحد من المسلمين قرر الهجرة إلى الحبشة ، وفعلا استأذن الرسول ﷺ فأذن له ، فخرج حتى إذا سار مسافة قرابة اليومين من مكة لقيه ابن الدُّغنَّة وهو يومها سيد الأحابيش ، فقال له: إلى أين يا ابا بكر ؟ قال : أخرجنى قومى ، وآذوني وضيقوا علَّي فقال الدُّغُنَّة: ولم ؟ فوالله إنك لتزين العشيرة ، وتعين النوائب ، وتفعل المعروف ، وتكسب المعدوم ارجع فأنت في جواري، فرجع معه حتى إذا دخل مكة ،قام الدغنة فقال: يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرضنَّ له أحد إلا بخير ، وحينئذ كفوا فلم يعرضوا له بسوء.(١)

وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره يصلي فيه ويقرأ القرآن فيبكي فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته وبكائه وقراءته ، وبلغ قريشاً ذلك فأتوا إلى أبي الدُّغُنَّة ، وقالوا له : إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا؛ إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرقّ ويبكي وكانت له هيئة، فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم ، فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما يشاء ، فذهب ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال له : يا أبا بكر إني لم أجرك لتؤذي قومك ؛ إنهم كرهوا مكانك الذي أنت فيه ، وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت. فقال أبو بكر أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ قال فاردد عليَّ جواري، قال: فرددته ، فقام ابن الدغنة فقال

---

(١)(صحيح السيرة النبوية)(ص٢١٢) للألباني ، (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب) (ص١٢٦-١٢٧) لأبي بكر جابر الجزائري ،

: يا معشر قريش إن ابن أبي قاحفة قد ردّ عليَّ جواري فشأنكم بصاحبكم.

فمرَّ بأبي بكر وهو عامد إلى الكعبة سفيه من سفهاء قريش فحثى على رأس أبي بكر تراباً، ومر بأبي بكر رجل من قريش ولعله الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل، فقال له أبو بكر: ألا ترى ما يصنع هذا

السفيه: فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك، ومضى أبو بكر وهويقول: أري ربّ ما حلمك، أي ربّ ما أحلمك ،أي رب ما أحلمك !!

نتائج وعبر : لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نجملها فيما يأتي :

(١) هجرة أبي بكر الصديق مثلٌ حيٌ لكل مؤمن يضطهد في بلده ، فيخرج منه طالباً لعزة نفسه وحريّة عمله الإسلامي.

(٢) بيان فضل أبي بكر ، وما كان ععليه من الإيمان والتقوى .

(٣) في ردّ أبي بكر جوار ابن الدغنة ورضاه بجوار ربه مثل عال في التوكل على الله تعالى .

(٤) وقول أبي بكر ربّ ما أحلمك ثلاثاً بعد ما وضع السفيه على رأسه التراب وشكاته إلى رجل قريش ورده بقوله : أنت فعلت ذلك بنفسك عبرة لكل مؤمن يضطهد في ذات الله ، فيصبر على أذى قومه ، ينتظر عقوبة الله تحل بالظالمين. [١]

الأسئلة :

س١- اذكر هجرة أبي بكر الصديق ﷺ ؟

س٢- لهذه القصة نتائج وعبرة ما هي ؟

مقاطعة بني هاشم وبني المطلب في الشِعب

إنه لما رأت قريش انتشار الإسلام وكثرة من يدخل فيه ، وبلغها ما لقيَ المهاجرون في بلاد الحبشة من إكرام وتأمين مع عودة وفدها خائباً لم يحصل على طائل ، اشتد حنقها على الإسلام والمسلمين ، فقامت بإتخاذ إجراء انتقام ظالم جائر ، ما كان لها أن تتخذ لولا ما أصابها من خيبة أمل جعلها تفكر هذا التفكير وتعمل هذا العمل الشرير.

اجتمع رجالها واتخذوا قراراً بكتابة كتاب يتعَاقدون فيه على بني هاشم وبني لمطلب .

على أن لا ينكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، وفعلا كتبوا صحيفة بذلك، وتعاهدوا عليها وتواثقوا، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيداً لأمرهم بذلك .

وكتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر فدعا عليه رسول الله ﷺ فشُلّت يده . ولما فعلت قريش هذا الفعل القبيح الجائر انحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى شعب أبي أبي طالب، ودخلوا فيه برجالهم ونسائهم وأطفالهم، إلا ما كان من الطاغية أبي لهب، فإنه لم يدخل معهم؛ لأنه ظاهر قريشاً على عملهم الإجرامي هذا.

وكانت سنة سبع من البعثة واستمر الحصار في الشعب لبني هاشم وبني المطلب ثلاث سنوات، وعانوا فيها الجوع والحرمان، ما لا يخطر ببال، إنهم من شدة الجوع أكلوا ورق الشجر، وكان يسمع من بعيد بكاء أطفالهم من الجوع .

وكان حكيم بن حزام ربما يحمل قمحاً إلى عمته خديجة – رضي الله عنها – وقد تعرض له مرة أبو جهل فتعلق به ليمنعه ، فتدخل بينهما أبو البختري ، ومكَّنهُ من حمل القمح إلى عمته.

وكان أبو طالب يخاف على رسول الله ﷺ ، فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم يأمر رسول الله ﷺ أن يضطجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد اغتياله ، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ ، وأمره أن يأتي بعض فرشهم .ولما أرد الله تعالى تفريج كربهم بعد أن ضربوا الرقم القياسي في الصبر والاحتساب قيض الله جل جلاله رجالاً من ذوي المروءة والحسب وعلى رأسهم هشام بن عمرو بن ربيعة إذ هو الذي مشى إلى رجال من قريش عرف فيهم عدم رضاهم على قرار قريش الجائر ، فاستثار شعورَهم وحمله على أن يتعاونوا على نقض الصحيفة ، وكانوا خمسة رجال ، ولما اجتمعت قريش في أنديتها قام أحدهم وهو زهير بن أبي أميّة وأقبل على الناس وقال : يا أهل مكة أنا نأكل الطعام ، ونلبس الثياب وبن هاشم هَلْكَى لا يباع له ولا يبتاع منهم ،و الله لا أقعدنّ حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة وقام أحد الرجال الخمسة فقال مثل ما قال الأول ، وقام ثالث مؤيداً ، وقام رابع بنفس الروح ، وتقدم المطعم ابن عدي إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرض قد أكلتها إلاكلمة (**باسمك اللهم**) وكان أبو جهل يسمع ويرى ما يَجْرِي في القضية فلم يتمالك اللعين حتى قال : هذا أمرٌدُبِّرَ بليل ..

---

(١)(هذا الحبيب يا محب) لأبي بكر جابر الجزائري (ص١٢٦).

ومزقت الصحيفة وبطل مفعولها، ومئذ خرج بنو هاشم وبنو المطلب من الشِعب. ومن آيات النبوة أن النبيّ ﷺ أخبر عمه أبا طالب بأن الأرض قد أكلت كلمات الباطل والجور فيها وأبقت كلمة الحق فيها وهي: (**باسمك اللهم**) وكان الأمر كذلك ، فإنهم لما انتزعوا الصحيفة من جدار الكعبة لم يجدوا فيها إلا جملة (**باسمك اللهم**) وبذلك وبخهم أبو طال على صنيعهم فطأطأوا رؤوسهم ولم يجيبوا بشيء ، وقال في هذا أبو طالب شعراً :

وهو قوله :

وقد كان في أمر الصحيفة عبرةٌ متى يُخبِّر غائب القوم يُعجبُ

محا الله منها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطِق الحق مُربُ

فأصبح ما قالوا من الأمر باطلا ومن يختلق ما ليس بالحق يكذبُ

نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر هي كالتالي:

(١) بيان ما وصلت إليه قريش في الظلم والتعسف والجور ، وذلك باتخاذها قرار المقاطعة الجائر الهادم لكل خلق رقيمة إنسانية .

(٢) بيان ما لقى رسول الله ﷺ والمؤمنون من أذى واضطهاد من كفار قريش.

(٣) بيان صبر المؤمنون وجلدهم وذلك في ذات الله عز وجل.

(٤) بيان أن أهل المروءة والكرم لا يخلو منه زمان ولا مكان ، والحمد لله .

(تجلّى آية النبوة المحمدية في أكل الأرضة الصحيفة الجائرة إلا اسم الله تعالى ، وإخبار الرسول ﷺ بذلك فكان الأمر كما أخبر إذ نزعت الصحيفة فلم يجدوا فيها إلا جملة (**باسمك اللهم**) وما عدا ذلك أكلته الأرضة.

الأسئلة :

س١- ما هي الأسباب التي تسببت مقاطعة قريش لبني هاشم وبني المطلب في الشِعب ؟

س٢- ماذا تقرر في الصحيفة ؟

س٣- من هو كاتب الصحيفة ؛ وماذا حدث لها بعد ما دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

س٤- اذكر ثلاث نتائج وعِبر لهذه المقطوعة من السيرة العطرة ؟

عـام الحزن . وفاة ابو طالب :

إنه ما إن انفرجت تلك الأزمة الخانقة بالحصار في شعب أبي طالب التي دامت ثلاثة سنوات تقريباً حتى رزيء ﷺ بأعظم رزء ، إنه وفاة أبي طالب العم الكافل والطود الأشم المانع ، والأسد الحامي والحصن الواقي. ووفاةخديجة ومن هي خديجة ؟ إنها الملاذ بعد الله ، والأنيس بعد ذكره ، إنها كانت تؤمنه إذا خاف ، وتؤنسه إذا استوحش ، تريحه بعذوبة حديثها إذا تعب ، وتسدده بصائب رأيها إذ قلق أو اضطرب.

مرض أو طالب مرضه الذي توفى فيه ، وعلم به كفار قريش فجاءوا يطلبون منه أن يفاوض له ابن أخيه علهم يظفرون بصلح معه قبل وفاة عمه ، فبعث أبو طالب إلى النبيّ ﷺ فحضر ؛ فقال له يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **نعم كلمة واحدة تُعطونيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم العجم** ﴾ فقال أبو جهل : وأبيك وعشر كلمات.

قال ﷺ : ﴿ **تقولون لا إله إ الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه** ﴾ فصفقوا بأيديهم وقالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ، إن أمرك لعجب . ثم قال بعضهم لبعض إنه والله ما هذا الرجل الذي يعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرقوا وفيهم نزلت الآيات الأولى من سورة (ص)

﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۞ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۞ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۞ وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۞ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۞ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ {٦} مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۞ ﴾ [ص:١-٧] واشتد المرض بأبي طالب فعاده الرسول ﷺ فوجد عنده بعض المشركين فعرض عليه الشهادة فقال : ﴿ يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج له بها عند الله يوم القيامة﴾ فنظر أبو طالب إلى أشياخ الشرك فقالوا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال : هو على ملة عبد المطلب. وفي هذا نزل قوله تعالى :﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦]

ومات أبو طالب فحزن الرسول ﷺ ، فقال : ﴿ لأستغفرنَّ لك ما لم أُنه عن ذلك ﴾ فأنزل الله تعالى من سورة التوبة : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣] ففي الصحيح عن العباس بن عبد المطلب ، قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ هو في ضحضاح من نار، ولو لا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار ﴾ (١)

وعن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي ﷺ – وذُكِرَ عنده عمه – فقال : ﴿ لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل له ضحضاح من النار تبلغ كعبيه ﴾ (٢)

---

(١)،(٢) رواه البخاري

وفاة خديجة رضي الله عنها :

وبعد خمسين يوماً من موت أبي طالب تقريباً ماتت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها ، وتتابعت المصائب على رسول الله ﷺ واشتد الركب وعظم الحزن ، مات العم الذي كان عضداً قوياً لرسول الله ﷺ وكان حرزاً منيعاً ، وماتت بعده خديجة المؤنسة ساعة الوحشة ، والمؤمنة المطمئنة ساعة القلق والخوف وخلت الساحة للمشركين فأخذوا ينالون من رسول الله ﷺ ما لم يكونوا ينالونه من قبل ، فقد رموا بالأقذار عليه ، وعلى باب داره بل وداخل الدار حتى رموا بالقذر في القِدْر الذي يطبخ فيه.

نتائج وعبر : إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نوجزها في التالي :

(١) بيان سنة وفاة كل من أبي طالب وخديجة رضي الله عنها وهي سنة عشر من البعثة.

(٢) ذكر آخر عَرْض عرضه المشركون على رسول الله ﷺ للصلح ؛ ولم يفلحوا لأنهم مصرون على الشرك.

(٣) بيان سبب نزول آيات : (ص ، والتوبة ، والقصص ، فالأولى في المصالحة الفاشلة والثانية والثالثة في أبي طالب ، والثانية في عدم الاستغفار له ، والثالثة في تسلية الرسول ﷺ وحزنه على موته على الشرك.

(٤) تتابع المصائب على الحبيب ﷺ كان مؤذناً بالفرج .

(٥) فيما أصاب رسول الله ﷺ من مصائب عزاء لكل مؤمن فيما يصيبه في هذه الحياة من بلاء ومصائب مهما عظمت إذ رسول الله ﷺ أسوة المؤمنين والمؤمنات.

الأسئلة

س١- اذكر ثلاث نتائج لهذه المقطوعة من السيرة العطرة ؟

س٢- لماذا سميَ هذا العام بعام الحزن ؟

س٣- ماذا كان قول رسول الله ﷺ لعمه وهو على فراش الموت ؟

س٤- هل استجاب أبو طالب لرسول الله ﷺ ؟

س٥- هل مات أبو طالب على ملة الإسلام ؟

عوامل الصبر والثبات عند الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم :

وهنا يقف الحليم حيران ، ويتسائل عقلاء الرجال فيما بينهم :

ماهي الأسباب والعوامل التي بلغت بالمسلمين إلى هذه الغاية القصوى ، والحد المعجزة من الثبات ؟ كيف صبروا على هذه الاضطهادات التي تقشعر لسماعها الجلود ، وترجف الأفئدة ؟ ونظراً إلى هذا الذي يتخالج القلوب ، نرى أن نشير إلى بعض هذه العوامل والأسباب إشارة عابرة مؤجزة :

١- إن السبب الرئيسي في ذلك أولاً هو الإيمان بالله وحده ومعرفته حق المعرفه .

٢- قيادة تهوى إليها الأفئدة ، فقد كان النبي ﷺ وهو القائد الأعلى للأمة الإسلامية بل وللبشرية جمعاء – يتمتع من جمال الخلق وكمال النفس ، ومكارم الأخلاق ، وغيرها من الصفات الطيبة.

٣- الشعور بالمسئولية – فكان الصحابة يشعرون شعوراً تاماً ما على كواهل البشر من المسئولية الفخمة الضخمة – وهو نشر الدين الإسلامي الذي هو هم وفكر كل مسلم يؤمن بالله رباً وبمحمداً رسولاً.

٤- الإيمان بالآخرة – وهو مما كان يقوي هذا الشعور بالمسئولية – فقد كانوا على يقين جازم من أنهم يقومون لرب العالمين ، يُحاسبون بأعمالهم دقها وجلها ، صيرها وكبيرها ، فإما إلى النعيم المقيم ، وإما إلى عذاب خالد في سواء الجحيم .

٥- القرآن – وفس هذه الفترات العصيبة الرهيبة الحالكة كانت تنزل السور والآيات تقيم الحجج والبراهين على مبادىء الإسلام – التي كانت الدعوة تدور حولها .

٦- البشارات بالنجاح – ومع هذا كله كان المسلمو يعرفون منذ أول يوم لاقوا فيه الشدة والاضطهاد – بل ومن قبله – أن الدخول في الإسلام ليس معناه جر المصائب والحتوف.

بل الدعوة الإسلامية تهدف – منذ أول يومها – إلى القضاء على جاهلية الجهلاء ونظامها الغاشم.

دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام خارج مكة.

في شوال سنة عشرة من النبوة خرج النبي ﷺ إلى الطائف ، وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً ، سارها ماشياً على قدميه جيئة وذهوباً ، ومعه مولاه زيد بن حارثة ، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام ، فلم تجب إليه واحدة منها . فلما انتهى إلى الطائف عمد ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف ،و هو عبد اليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي ، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله ،و إلى نصرة الإسلام ، فقال حدهم : هو يمرط ثياب الكعبة (أي يمزقها) ، إن كان الله أرسلك ، وقال الآخر : أما وجد الله أحدا غيرك ، وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً ، إن كنت رسولا لأنت أعظم خطراً من أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك . فقام عنهم رسول الله ﷺ ، وقال لهم : **إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني.**

{ وذلك خوفاً على الدعوة الإسلامية } وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام ، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاء وكلمه ، فقالوا : اخرج من بلادنا ، وأغروا به سفهاءهن ، فلما أراد الخروج تبعه سفاهؤهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، فوقفوا سماطين (أي صفين) وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه ، ورجموا عراقيبه ، حتى اختضب نعلاه بالدماء ، وكان زيد بن حارثه يقيه بنفسه ، حتى أصابه شجاج في رأسه ، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة ، على ثلاث أميال من الطائف ، فلما التجاء إليه رجعوا عنه ، وأتى رسول الله ﷺ بالدعاء المشهور الذي يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزناً مما لقى من الشدة ، وأسفاً على أنه لم يؤمن به أحد ، قال : ﴿ **اللهم إليك أشكو ضعف قوَتي ، وقِلةَ حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك** ﴾ (١)

فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما ، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً ، يقالله عداس ، وقالا له : خذ قطفاً من هذا العنب واذهب به إلى هذا الرجل . فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ مد يده إليه قائلاً : (**بسم الله**) ثم أكل ، فقال عداس : إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله ﷺ : من أي البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ قال : أنا نصراني ، من أهل (نينوى) ، فقال رسول الله ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، قال له : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ قال رسول الله ﷺ :

ذاك أخي ، كان نبياً وأنا نبي ، فأكب عداس على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلها. فقال ابنا ربيعةأحدهما للآخر : أما غلامك فقد أفسده عليك.فلما جاء عداس قال له: ويحك ما هذا ؟ قال: سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا الرجل ، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي، قالا له: ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه.

ورجع رسول الله ﷺ عائداً من الطائف بعد أن أيس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة

[وهو مكان بين مكة والمدينة] قام من جوف الليل يصلي، فمرَّ به نفر من الجنّ الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الأحقاف في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۞ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٢]

---

(١) أخرج القصة بطولها ابن هشام (٢٦٢/١،٢٦٠) عن ابن اسحاق عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي مرسلا ورجاله ثقات دون قوله : (الله إليك أشكو ...) فقد أورده بدون سند ، وأورده الهيثمي في (المجمع)(٣٥/٦) من حديث عبد الله بن جعفر ، ونسبه للطبراني ، وقال : وفيه إسحاق ، هو مدلس ، وبقية رجاله ثقات . انظر (زاد المعاد)(٣٢/٣) تحقيق – شعيب الأرنؤوط)(١)

وهم من جنّ نصيبين [مدينة بالشام] وكانوا سبعة نفر وحملوا رسالة الله تعالى إلى قومهم منذرين ، كما نزلت سورة الجن في شأنهم أيضاً وفيها أخبارهم الكثير. في طريق مكة بعد خروجه من الحائط كئيباً محزوناً كسير القلب ، فلمابلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال ، يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة . قال النبي ﷺ : ﴿ **بل أرجو أن يخرج الله عز وج من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك بالله شيئاً**﴾ (١)

نتائج وعبر:إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نذكرها إزاء الأرقام الآتية :

(١) بيان ثبات الرسول ﷺ وعدم يأسه مهما عظم البلاء ، يدل على ذلك خروجه إلى الطائف يطلب النصرة.

(٢) بيان أن النبي ﷺ بل أستأذن في الحكمة ، فانظر كيف اختار النفر الثلاثة إذ كانوا سادة ثقيف فلو أجابوا دعوته لأجابت كل أهل الطائف ، فلما رفضوها علم أن غيرهم سيرفضها فلذا لم يتصل بأحد غير النفر الثلاثة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/٢٢٥) في بدء الخلق: باب ذكر الملائكة ، ومسلم(١٧٩٥) في الجهاد: باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد، فقال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عُرضت نفسي على ابن عَبْدِ ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهوم على وجهي، فلم استفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت، فإذا جبريل ، فناداني، فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول لك ، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال، وسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ : (بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً).

(٣) بيان سوء معاملة أهل الطائف ومع هذا لم يدع عليهم ﷺ بل دعا لهم ، فقال : (**الهم اهد ثقيفاً وأت بهم**) واستجاب الله تعالى له فيهم فأتوا بعد حصارهم وآمنوا وأسلموا

(٤) بيان فضل عداس ، وشهادته بنبوّة رسول الله ﷺ.

(٥) بيان مكان لقاء الجن النبيّ ﷺ، وحملهم رسالة الإسلام إلى أقوامهم.

الأسئلة :

س١- هناك عوامل كثيرة جعلت المسلمون يثبتون عند رسول الله على التعذيب من قريش والتشرد ؛ اذكر أربع عوامل لهذا الثبات ؟

س٢- متى كانت دعوة الرسول ﷺ خارج مكة المكرمة ؟

س٣- ماذا كان رد الأخوة الثلاثة من رؤشاء ثقيف ؟

س٤- كيف كانت معاملة أهل الطائف بالحبيب محمد ﷺ ؟

س٥- ماذا تعرفي عن عداس – وماذا كانت ديانته ؟

س٦- كم كان عدد أفراد الجن الذين استمعوا القرآن الكريم من رسول الله ﷺ اذكر الآية التي تدل على ذلك ؟

س٧- لهذه المقطوعة من السيرة النبوية العطرة نتائج وعبر اذكري ثلاثة منها ؟

الإسراء والمعراج :

متى كان الإسراء والمعراج ؟

إنه في السنة العاشرة من سني البعثة النبوّية ، إنه – الإسراء والمعرج –كان مكافأة ربّانيّة على ما لاقاه الحبيب ﷺ من أتراح وآلام وأحزان ؛ إذ كان بعد حصار دام ثلاث سنوت في شعب أبي طلب . وما لاقى أثناءه من جوع وحرمان ، إنه كان بعد فقد الناصر الحميم ، وفقد خديجة أو المؤمنين إنه كان بعد خيبة أمل في ثقيف ، وما ناله من سفهائها وصبيانها وعبيدها.

بعد هذه الآلام كَافأ الحبيب حبيبه فرفعه إليه وقرّبه وأدناه ، وخلع عليه من حلل الرضا ما أنساه كا ما كان قد لاقاه ، من حزن وألم ونصب وتعب ، وما قد يلاقيه في سبيل إبلاغ رسالته ونشر دعوته ، فصى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما ذكر الله الذاكرون ، وما غفل عن ذكره الغافلون.

كيف بدأ الإسراء ؟

لقد كان الإسراء من بيت أم هانيء حيث أخرج الحبيب إلى المسجد الحرام إلى ما بين الحجر والحطيم حيث أجريت له عملية شقّ الصدر فأخرج القلب وغُسِلَ بماء زمزم المبارك ، ثم أُتيَ بطست من ذهب مملوء إيماناً وحكمة فَحُشيَ بذلك القلب الإيمان وتلك الحكمة ثم أعيد القلب كما كان ،ثم أتى بدابة وهي البراق فركبه إلى بيت المقدرس ، فربطه في حلقة باب المسجد ، ودخل المسجد فصلى فيه ، ثم وُضع له معراج ممت ما بين السماء والأرض ، فعرج بصحبة أخيه في الرسالة جبريل عليه السلام ، روى الإمام أحمد بسنده

عن أنس بن مالك أن: ليلة رسول الله ﷺ قال : ﴿ أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبتُ فسار بي حتى أتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين م خرجت فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فخترت اللبن فقال جبريل : أصبت الفطرة . قال: ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: قد أُرسِلَ إليه . ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له: من أنت ؟ قال: جبريل. قيل : ومن معك ؟ قال: محمد . قيل : وقد ارسل إليه ؟ قال: قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير، م عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل فقيل له: من أنت ؟ قال : جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال: جبريل. فقيل : ومن معك ؟ قال: محمد ؛ فقيل: وقد أرسل إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودع لي بخير ثم يقول الله تعالى : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد. فقيل وقد أُرسِلَ إليه ؟ قال : قد بُعِثَ إليه ، ففتح لنا فإذا بهارون ، فرحب بي ودع لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال : جبريل . قيل من ومعك : قال : محمد . فقيل وقد بُعِثَ إليه ؟ قال : قد بُعِثَ إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء

السابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد. فقيل وقد بُعِث إليه ؟ قال : قد بُعِثَ إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام ، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها.[1]

قال : فأوحى الله إلى ما أوحى ، وقد فرض عليَّ كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، قال: ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فإن امتك لا تطيق ذلك وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: أي رب خفف عن أمتي فحط خمساً ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال ما فعلت ؟ فقلت قد حطَّ عني خمساً فقال إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط خمساً خمساً حتى قال: يا محمد هن خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ون همّ بحسنة فلم يعملها كُتِبت له حسنة ، فإن عملها كتبت عشراً ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة ، فنزلتُ حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته ، فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : (لقد رجعت إلى ربي حتى استحييت)[2]

---

(١) رواه أحمد في (المسند) وأورده ابن كثير في(تفسيرالقرآن العظيم) (١٧/٣) سورة الاسراء.

(٢) المصدر السابق .

وقال عليه الصلاة والسلام : (لما عرج بي إلى ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم. ولما عاد ﷺ إلى المسجد الحرام وجلس فيه وهو لا يدري بم تقابل قريش النبأ العظيم ، ووالحدث والجلل، فما زال جالساً حتى مرّ به أبو جهل عليه لعائن الله فسأله قائلاً مستهزئاً : هل استفدت الليلة شيئاً ؟ فأجاب المصطفى : ﴿ **نعم أُسريَ بي إلى بيت المقدس**﴾ . قال أبو جهل : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال النبيّ ﷺ (**نعم**) .قال أبو جهل : أُخْبِرُ قومك بذلك ؟ فقال النبيّ ﷺ : (**نعم**). فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤى هلموا. فأقبلوا، فحدثهم النبيّ ﷺ فمن صدق ، ومن مكذب مصفّق يده واضع يده على رأسه استعظاماً للخبر وإنكاراً له، وتعجّباً منه.

ولشدة ما أثار الخبر من سخريَة وتعجب ارتد بعض من آمن ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم ولم تخالط بشاشته قلوبهم.

ومشى رجال من المشركين المستهزئين إلى أبي بكر الصديق ، وقالوا له : إن صاحبك يزعم أنه أُسريَ به إلى البيت المقدس ، فقال الصديق : إن كان قال هذا فقد صدق ! إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء يأتيه في غدوة أو روحة. فلقب أبو بكر بالصديق من يومئذ.

واجتمعوا رجال قريش وأرادوا امتحان النبيّ ﷺ فقالوا له: انعت لنا المسج الأقصى فأخذ ينعته له ، فالتبس عليه فجيء له بالمسجد ينظر إليه وينعته لهم ، وعند ئذ قالوا له أخبرنا عن عيرنا القادمة من الشام ، فقال قد مَرَرْتُ على عير بني فلان بالروحاء، وقد أضلُّوا بعيراً لهم ، وهم في طلبه فسلوهم عن ذلك ، ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان ورأيت راكباً قعوداً بذي مرّ فنفر بَكره منه فسقط فلان فانكسرتْ يَدُه فسلوه.

ومررتُ بعيركم بالتنعيم يَقدمها جمل أورق عيه غرارتان تطلع عليكم طلوع الشمس، فخرجوا إلى الثنيّة فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس، ليكذبوه وفجأة قال قائل هذه الشمس قد طلعت فقال آخر والله هذه العير قد طلعت يقدمها بعير أورق كما قال [1]ومع هذا فلم يؤمنوا ، وقالوا إن هذا إلا سحر مبينٌ. وأنزل الله تعالى مصداق ذلك فاتحة سورة الإسراء.

ملخص الإسراء والمعراج في الآتي :

(١) لقد رآى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته مرتين، الأولى في الأرض والثانية عند سدرة المنتهى [2].

(٢) وقع حادث شق صدره ﷺ وهي المرة الثانية ، وكانت الأولى في البادية.

(٣) عُرِضَ عليه اللبن والخمر ، فاختار اللبن ، فقيل : هديت الفطرة أو أصبت الفطرة ، أما أنك لو أخذت الخمر غوت أمتك.

(٣) رأى أربعة أنهار في الجنة: نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، والظاهران هما: النيل والفرات ، معنى ذلك أن رسالته ستتوطن الأودية الخصبة في النيل والفرات ، وسيكون أهلها حملة الإسلام جيلاً بعد جيل ، وليس معناه أن مياه النهرين تنبع من الجنة.

(٤) ورأى مالك خازن النار ، وهو لا يضحك ، وليس على وجه بشر وبشاشة وكذلك رأى الجنة والنار.

(٥) ورأى أكلة أموال اليتامى ظلماً لهم شافر كمشافر الإبل ، يقذفون في أفواههم قطعاً من نار كالأفهار ، فتخرج من أدبارهم .

---

(١) رواه أبو حاتم من حديث أبي هريرة ، وأورده ابن كثير في تفسيره(٣/٢٥)

(٢) انظر (الرحيق المختوم)(ص١٦٥) بتصرف .

(٦) ورأى أكلة الربا لهم بطون كبيرة ، لا يقدرون لأجلها أن يتحولوا عن مكانهم ، ويمر بهم آل فرعون حين يُعرضون على النار فيطأونهم.

(٧) ورأى الزناة بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن ، يأكلون من الغثِ المنتن ، ويتركون الطيب السمين.

(٨) ورأى النساء اللاتي يدخلن على الرجال من ليس من أولادهم . رآهن معلقات بثديهن .

نتائج وعبر : إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها فيما يأتي :

(١) المعجزات ليست ضروريّة لحصول الإيمان فقد رأى كفار قريش آيات عِظاماً ولم يؤمنوا.

(٢) تقرير حادثة الإسراء والمعراج وثبوتها بالكتاب والسنة والإجماع وأن الإسراء والمعرج كانا بالروح والجسد معاً.

(٣) سبق أبي بكر وفضله وسبب تلقيبه بالصديق ﷺ وأرضاه .

أسئلة :

س١- متى كان الاسراء والمعرج ؟

س٢- كيف بدأ الاسراء ؟

س٣- من هم الانبياء الذين التقى بهم النبي ﷺ ؟

س٤- في أي سماء التقى النبي بموسى عليه السلام ؟

س٦- من النبي الذي قال له أسأل ربك التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك ؟

س٧- كم خفف الله جل وعلى أمة محمد في الصلاة ؟

س٨- لماذا لُقِبَ أبو بكر بالصديق ؟

س٩- اذكري خمسة نقاط من ملخص الإسراء والمعراج ؟

س١٠- لهذه المقطوعة نتائج وعبر ماهي ؟

لطائف أمور قبل هجرة الحبيب ﷺ

أول هذه الأمور : نصُّ حديث البيعة إذ جاء فيه ما يلي : قال عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء : بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطِنا ومكرهِنا وأثرةٍ علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

ثاني هذه الأمور أن العباس بن عبادة العوفي هو الوحيد الذي ظفر بلقب مهاجر أنصاري فاصحاب كلهم إما مهاجر أو أنصاري إلا العباس بن عبادة العوف فإنه خرج إلى رسول الله ﷺ بمكة وأقام معه بها ، فكان يقال له : مهاجري أنصاري استشهد بأُحُد رضي الله عنه.

وثالث هذه الأمور : لما تمّت بيعة العقبة الثانية وقد تضمّنت نُصْرَةَ رسول الله ﷺ ، وقال لهم : ﴿ **إن الله عز وجل وقد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها** ﴾ فخرجوا أرسالاً أي جماعة إثر جماعة، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر إذن ربه تعالى – له في الهجرة إلى المدينة.

ورابع هذه الأمور : أن أول مهاجر من قريش من بني مخزوم إلى المدينة كان أبا سلمة بن عبد الأسد بن عبد الأسد بن هلال ، واسمه عبد الله رضي الله عنه وأرضاه .

وحديث هجرة أبي سلمة اللطيف الشريف كان كالتالي ، فلنستمع إليه :

لما عاد أبو سلمة من الحبشة إذ هاجر إليها أولاً، ولما وصل مكة آذته قريش ، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ، فقرر الهجرة إلى المدينة ، فحمل زوجته أم سلمة وطفله وقاد بهما راحلته ، وخرج فلحقه رجال من بني مخزوم ، فقالوا له هذه نفسك قد غلبتنا عليها، أرأيتك

صاحبتك هذه غَلاَمَ نَتْرُكُكَ تسير بها في البلاد، ونزعوا خطام البعير من يده، وأخذوا الراحلة وعليها امرأته وولده ، وغضب عند ذلك الرجال من رهط أبي سلمة فقالوا : والله لا نترك ولدنا عندها؛ إذ نزعتموها من صاحبنا فتحاذبوا الطفل حتى خلعت يدُه، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبس بنو المغيرة أم سلمة عندهم.

ولنستمع إليها وهي تحث عن قصة هجرتها، قالت رضي الله عنها: ففرقوا بيني وبين زوجي إذ واصل هو سيره إلى المدينة، وبيني وبين ولدي إذ أخذه رهط زوجي فكنت أخرج كل غداة إلى الأبطح، فأجلس أبكي فلا أزال أبكي حتى أُمسي، وذلك سنة أو قريباً منها ، حتى مرَّ بي رجل من بني عَميّ أحد بني المغيرة فرأى ما بي فَرحِمني، فقال لبني المغيرة ألا تخرجون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها ، وبينها وبين ولدها .فقلوا لي الحقي بزوجك إن شئتِ، قالت: وردّ بو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني، فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، فقلت: أبلّغُ بمن لقيه حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية ؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة.قال: أو ما معك أحد ؟ قلت لا والله إلا الله وبُنَيَّ هذا، قال والله مالك مِن متْرَكً ، فأخذ بخطام البعيرة فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ ثم استأخر عنيّ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط، ثم قيده في الشجرة ثم تنحَّى عني إلى شجرة أخرى فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدّمه فرحله ثم أستأخر عني، وقال اركبي واستويت على بعيري أتى وأخذ بخطامه، فقاده حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية – وكان أبو سلمة نازلاً بها – فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة وهو يومئذ على الشرك، وأسلم إلا في هدنة الحيبية. والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبها قط أكرم من عثمان بن طلحة.

مــراجعة :

هذه أم سلمة وذاك زوجها قبل رسول الله ﷺ أبو سلمة ذو الهجرتين يخرج بها من مكة مهاجراً بها إلى دار الهجرة ، فتُفْتَك منه زوجته وولده، ويُفتَك الولد من أمه، ويترك أبو سلمة زوجته وولده ويهاجر إلى ربّهِ تاركاً نصفه وراءه، وتنظر أم سلمة فلم تجد مواسياً ولا مؤانساً ، فتخرج كل يوم إلى الأبطح تبكي طول يومها، وتعود إلى كسر بيتها إلى انسلاخ سنة بأشهرها الأثنى عشر، ثم يؤذن لها بالهجرة فتهاجر وحدها على بعير وما معها سوى طفلها تسافر مسافة عشرة أيام.

حقّاً ما قالته: ما أعلم أهل بيت أصابهم ما اصاب آل أبي سلمة. هذه وأخرى في كمال عثمان بن طلحة الذي يضرب الرقم القياسي في الكرم النفسي، إنه يجد امرأة على بعيرها تريد السفر مسافةعشرة أيام في صحراء لا خضراء بها ولا ماء، فيقول وقد سألها حالها: والله مالك مِن مُتْرَك ، ويقود بعيرها ويحسن إليها في ركوبها ونزولها، ويريها من العفة والكرم ما لم تره امرأة مثلها قط. آه أين هؤلاء الرجال الأعفاء الكرماء ذوو النجدة . لقد أقفرت منهم الحياة وأجدبت منهم ساحة الوجود، ولا خير في دنيا يُفقد فيها أمثال هولاء. **وخامس هذه الأمور**: أن المهاجرين جميعهم ما منهم أحد إلا نزل بيت أحد الأنصار، فأيّ كرم أعظم من هذه ؟ وأي إخاة أصدق من هذا ؟

وسادس هذه الأمور: هو هجرة صهيب أنه حين أراد الهجرة إلى المدينة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكاً فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ! والله لا يكون ذلك ، فقال له صهيب أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلّون سبيلي ؟ قالوا: نعم. قال: فإني جعلت لكم مالي ودلهم على مكانه وهاجر فلما رآه رسول الله ﷺ بادرا قائلاً :﴿ ربح البيع صهيب* * ربح البيع صهيب﴾ [1] ونزل فيه قرآن يتلى إلى اليوم [2] ، وهو قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [التوبة: ٢٠٧]

وسابع هذه الأمور: هو أن النبيّ ﷺ كان قد أرسل مع أهل بيعة العقبة الأولى مصعب بن عمير وهاشم بن عبد مناف، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويُفَقِّهم في الدين ، فكان أول من لُقِّبَ بالمقرىء، واستشهد بأحد فهو ضجيع سيد شهداء حمزة في ساحة أحد يزاران مع بعضهما بعضاً فرضي الله عنهما وأرضاهما وجعل الجنة مأواهما. [3]

---

(١) خرّجه الألباني في(فقه السيرة)(١٦٦) وقال : صحيح . كذا في الجامع المفهرس لأطراف الأحاديث النبوية والأثار السلفية التي خرَّجها محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتبه المطبوعة) صنعه سليم بن عيد الهلالي – دار ابن الجوزي (الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م)

(٢) أخرجه ابن مردويه بسنده وهو حسن ، وأورده ابن كثير في تفسيره (١/٢٦٥) .

(٣) انظر (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب) (ص١٥٠ – ١٥٤) لأبي بكر جابر الجزائري

وثامن هذه الأمور : هو أن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت قائد أبي لما ذهب بصره ، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان صلى عَلى أبي أمامة أسعد بن زرارة ، فسألته عن ذلك قائلاً يا أبتِ مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمامة ؟ قال : يا بنيّ إنه أول من جمع بنا بالمدينة في هَزْم [جبل على بريد من المدينة] النبيت من حرّة بني بَياضة يقال له نقيع الخضِمات قلت له : وكم كنتم يومئذ ؟ قال أربعون رجلاً.(١)

هجرة الحبيب الطيب محمد ﷺ إلى طيبة الطيبة

إنه بعد أن خرج المؤمنون منمكة أرسالاً – أي جماعات – إلى المدينة المنورة مهاجرين ولم يبق منهم إلا محبوس أو مفتون كان النبيّ ﷺ في انتظار الإذن له من ربّه عز وجل بالهجرة ، وأبقى معه عليّاً لحاجته إليه . وأما أبو بكر الصديق فإنه كثيراً ما كان يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً فيطمع أبو بكر أن يكون رسول الله ﷺ هو الصاحب . وفي هذه الأيام بالذات كان رجال

---

(١) ذهب الشافعي وأحمد إذا كان المصلين أقل من أربعين صلوا ظهراً ، وهو المشهور عنهم ، وإذا كانوا أكثر من أربعين صلوا جمعة، وختار شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (إنعقاد الجمعة بثلاث : واحد يخطب ، واثنان يستمعان، وذلك أكثر من موضع . انتهى. قلت : والرواية لا تدل على التحديد كما هو معلوم ، وما ثبت عند الدارقطني من حديث جابر ، قال : (مضت السنة أن في كل ثلاثة إمام ، أو في كل أربعين فما فوق ذلك جمعة وأضحى وفطراً، وذلك أنهم جماعة) فالحديث الضعيف في سنده عبد العزيز بن عبد الرحمن ، وضعيف فيما تفرد به. وبالجملة كل الأحاديث التي تحدد العدد لا يصصح فيها شيء ٠وقال محققان (زاد المعاد)(٣٧٣/١) : لكن لا حجة فيه على اشتراط الأربعين كما لا يخفى.أ هـ .

قريش يتخوفون منه ﷺ يلتحق بدور الأنصار وهم ذو شوكة ومنعة وقد لحق بهم المؤمنون فقرروا المشركون عقد اجتماع لهم بدار الندوة يحضره أولو الرأي والمشورة منهم للتفكير في أمر محمد ﷺ ، وجاءوا دار الندوة وإذا بشيخ جليل عند بابها فسألوه من أنت ؟ قال شيخ من نجد سمعت بما اتعدتم عليه، فحضرتُ لأسمع ما تقلون وعسى أن لا تعدموا مني رأياً ونصحاً ، فدخل معهم وقد ضم الاجتماع أبا سفيان وأبا جهل والنضر ابن الحارث وكبار رجال قريش ، ودارت المناقشة للبحث عن المخرج ، فقال بعضهم : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم – يعنون النبيّ ﷺ – فإنا والله ما نأمنه من الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأياً.

فقال بعضهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشبهه من الشعراء الذين كانوا قبله – يريدون حتى يموت في الحبس – وفي هذا يقول تعالى عنهم : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ [الطور :٣٠]

أي بالموت وهو بمعنى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]

في الحديد محبوساً في دار حتى الموت.

وهنا قال الشيخ النجدي ، وهو إبليس – نعوذوا بالله من إبليس – أتاهم في صورة شيخ جليل ليثقوا فيما يقترحه عليهم ، وهو الذي صرخ بأعلى العقبة منذ أشهر قائلاً : يا أهل الجباجب ، وهل لكم في مذمم والصباة ، ورد عليه الرسول ﷺ قائلاً : ﴿ هذا أوب العقبة ، والله لأفرغن لك أي عدو الله ﴾ جاء اليوم لينتقم فقال : لا والله ما هذا لكم برأي ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره وراء الباب الذي أغلقتموه دونه إلى أصحابه

فَلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعزه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا لكم برأي فانظروا غيره، فتشاوَرُوا، ثم قال بعضهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله لا نبالي أين ذهب.

قال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم بالرأي ، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على عقول الرجال بما يأتي به، دَبّروا فيه أمراً غير هذا.

فقال أبو جهل: والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم فيه أبداً. قالوا: وما هو يا أبا الحكم ؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتىً شاباً نسيباً[1] وسيطاً[2] فينا ، فيقتلوه فنستريح منه. ويتفرّق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فيرفضون منّا بالعقل[3] فنعقله له أي ندفع ديته لهم ، وهنا قال الشيخ النجدي (إبليس): هذا الرأي لا أرى غيره ، فأجمعوا عليه ونفّذوا خطتهم ، وقد أوحى تعالى بذلك إلى رسوله محمد ﷺ، فأمر ﷺ ابن عمه عليّاً بأن ينام على فراشه ويتغطّى ببرده ﷺ، وأعلمه أنه لا يناله ما يكره إن شاء الله تعالى، ثم أخذ ﷺ حفنة من تراب وخرج وهو يقرأ: ﴿يس ۞ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۞ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۞ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾ [يس :١-٩] فأعمى الله أبصارهم،

---

(١) ذو نسب شريف.

(٢) شريفاً .

(٣) بالدية.

فخرج من بين أيديهم ووضع التراب على رؤوسهم وهم لا يشعرون، وانصرف ﷺ حيث أراد، وبعد ساعة أتاهم آتٍ فقال لهم: ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا: محمد. فقال خيَّبكم الله قد والله خرج عليكم، ثم ما ترك رجلاً منكم إلا وضع الترب على رأسه، وانطلق لحاجته ، فوضع كل واحد منهم يده على رأسه فإذا التراب عليه، فجعلوا يتطلعون من خلال شقوق الباب فيرون عليّاً على الفراش متغطياً ببرد النبيّ ﷺ فيقولون والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فلما رأوه قالوا.

والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا وانصرفوا.(١)

* بـداية الهجرة – من الدار إلى الغار :

غـادر رسـول الله ﷺ بيتـه في ليلـة ٢٧ مـن شـهر صـفر سـنة ١٤ مـن النبـوة الموافـق ٦٢٢/٩/١٢م .

وأتى إلى دار رفيقه – وأمن الناس عليه في صحبته وماله – أبي بكر الصديق – رضي الله عنه.

غـادر منزل الأخير من باب خلفي ، ليخرجا من مكة على عجل ، وقبل أن يطلع الفجر.

ولما كـان النبي ﷺ يعلـم أن قريشـاً ستجد في الطلب، وأن الطريـق الـذي ستتجه إليـه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة الرئيسي المتجه شمالاً، فقد سلك الطريق الذي يضاده تماماً، وهو الطريق الواقع جنوب مكة ، والمتجه نحو اليمن.

---

(١) (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص١٥٦- ١٥٨) لأبي بكر جابر الجزائري.

سلك هذا الطريق نحو خمسة أميال ، حتى بلغ إلى جبل يُعرف بجبل ثور ، وهذا جبل شامخ ، وعر الطريق ، صعب المرتقى ، ذا أحجار كثيرة ، فحفيت قدما رسول الله ﷺ ، وقيل كان يمشي في الطريق على أطراف قدميه كي يخفى أثره فخفيت أقدماه ، وأيا ما كان ؛ فقد حمله أبو بكر حين بلغ إلى الجبل ، وطفق يشتد به حتى انتهى به إلى غار في قمة الجبل ، وعرف في التاريخ بغار ثور [١]

ولما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: والله لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك، فدخله فكسحه ، ووجد في جانبه ثقباً فشق إزاره وسدها به، وبقي منها اثنان فألقمهما رجليه ، قال لرسول الله ﷺ : ادخل. فدخل رسول الله ﷺ، ووضع رأسه في حجره ونام، فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ، فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ ، فقال: مالك يا أبا بكر ؟ قال: لدغت، فداك أبي وأمي، فتفل رسول الله ﷺ، فذهب ما يجده.[٢]

وقمنا في الغار ثلاث ليال ، ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد [٣] وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت عندهما.

---

(١) انظر (رحمة العالمين)(٩٥/١) ،(مختصر السيرة)(ص١٦٧) للشيخ عبد الله النجدي ، (الرحيق المختوم)(ص١٩٤) للمباركفوري .

(٢)رواه رزين عن مر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفيه ثم انتقض عليه (أي رجع السم حين موته) وكان سبب موته . انظر(مشكاة المصابيح)(٦٠٣٤)(١٦) تحقيق الإمام الألباني .

(٣) انظر (فتح الباري شرح صحيح البخاري) لابن حجر العسقلاني (٣٣٦/٧)

قالت عائشة: وهو غلام شاب ثقف لقن ، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام. وكان يرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العِشاء ، فيبيتان في رسل – وهو لبن منحيتهما ورغيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث .[١]

وكان عامر بن فهيرة يتبع بغنمه أثر عبد الله بن أبي بكر بعد ذهابه إلى مكة ليعفى عليه [٢]

أما قريش فقد جن جنونها حينما تأكد ليها إفلات رسول الله ﷺ صباح ليلة تنفيذ المؤامرة. فأول ما فعلوه بهذا الصدد أنهم ضربوا علياً، وسحبوه إلى الكعبة، وحبسوه ساعة، علهم يظفرون بخبرهما.[٣] ولما لم يحصلو من عليٍّ على جدوى جاءوا إلى بيت أبي بكر، وقرعوا بابه ، فخرجت إليهم أسماء بنت أبي بكر، فقالوا لها: أين أبوك ؟ قالت: لا أدري والله أين أبي ؟ فرفع أبو جهل يده – وكان فاحشاً خبيثاً – فلطم خدها لطمة طرح منها قرطها)[٤]

وقررت قريش استخدام جميع الوسائل التي يمكن القبض عليهما، وحينئذ جدت الفرسان والمشاة وقصاص الأثر في الطلب، وانشروا في الجبال والوديان، و الوهاد والهضاب، لكن من دون جدوى وبغير عائد.

---

(١) (صحيح البخاري)(١/٥٥٤،٥٥٣)

(٢) (السيرةالنبوية) (١/٤٨٦) لابن هشام ٠(٣)(رحمة العالمين)(١/ص ٩٦)

(٤) (السيرة النبوية)(١/٤٨٧) لابن هشام ٠

وقد وصل المطاردون إلى باب الغار ، ولكن الله غالب على أمره، روى البخاري عن أنس عن أبي بكر قال : كنت مع النبي ﷺ في الغار فرفعت رأسي، فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت: يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا.

قال: (**اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما**)، وفي لفظ: (**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما.**) [1]

وقد كانت معجزة أكرم الله بها نبيه ﷺ ، فقد رجع المطاردون حين لم يبق بينه وبينهم إلاخطوات معدودة.[2]

في الطريق إلى المدينة :

حين خمدت نار الطلب ، وتوقفت أعمال دوريات التفتيش، وهدأ ثائرات قريش بعد استمرار المطاردة الحثيثة ثلاث أيام بدون جدوى، تهيأ رسول الله ﷺ وصاحبه للخروج إلى المدينة.

---

(١) (صحيح البخاري)(١/٥٥٨،٥١٦).

(٢)انظر (الرحيق المختوم)(ص١٩٥-١٩٦) للمباركفوري .

وكان قد استأجر عبد الله بن أريط الليثي ، وكان هادياً خريتا – ماهراً بالطريق – وكان على دين كفار قريش ، وأمناه على ذلك ، وسلما إليه راحلتيهما ، ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليالل براحلتيهما ، فلما كانت ليلة الأثنين – غرة ربيع الأول سنة ١هـ الموافق ١٦ /٦٢٢/٩م – جاءهما عبد الله ابن أريقط بالراحلتين وحينئذ قال أبو بكر للنبي ﷺ : بأبي أنت يا رسول الله ، خذ إحدى راحلتي هاتين ، وقرب إليه أفضلهما ؛ فقال رسول الله ﷺ : **بالثمن**. وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسفرتهما، ونسيت أن تجعل لها عصاما ، فلما ارتحل ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس لها عصام، فشقت نطاقها اثنين، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر، فسميت ذات النطاقين، ثم ارتحل رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، وارتحل معهما عامر بن فهيرة، وأخذ بهم الدليل – عبد الله بن أريقط – على طريق السواحل. وأول ما سلك بهم بعد الخروج من الغار أنه أمعن في اتجاه الجنوب نحو اليمن ، ثم اتجه غرباً نحو الساحل، حتى إذا وصل إلى الطريق لم يألفه الناس اتجه شمالاً على مقربة من شاطىء البحر الأحمر، وسلك طريقاً لم يكن يسلكه أحد إلا نادراً.

(١)روى البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة ،و خلا الطريق ، لا يمر فيه احد ، فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليها الشمس، فنزلنا عنده ، وسويت للنبي ﷺ مكاناً بيدي ، ينام عليه ، وبسطت عليه فروة، وقلت: نم يا رسول الله ، وأنا أنفض لك ما حولك ، فنام ، وخرجت انفض ما

حوله، فإذا أنا براعٍ مقبل بغنمه إلى الصخرة ،يريد منها مثل الذي أردنا، فقلت له: لمن أنت يا غلام ؟ فقال: لرجل من أهل المدينة أو مكة. قلت: أفي غنمك لبن ؟ قال: نعم . قلت: أفتحلب ؟ قال نعم .فأخذ شاة، فقلت: انفض الضرع من التراب والشعر والقذى . فحلب في كعب كثبة من لبن، ومعي إداوة حملتها للنبي ﷺ ، يرتوي منها ، ويشرب ويتوضأ ، فأتيت النبي ﷺ، فكرهت أن أوقظه، فوافقته حين استيقظ، فصببت من الماء على اللبن حتى برد أسفله، فقلت: أشرب يا رسول الله ؛ فشرب حتى رضيت، ثم قال: **ألم يحن الرحيل** ؟ قلت: بلى، قال: فرتحلنا.(١)

(٢) كان من دأب أبي بكر رضي الله عنه أنه كان ردفا للنبي ﷺ، وكان شيخاً يُعرف ، ونبي الله ﷺ شاب لا يُعرف، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: من هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول: هذا الرجل يهديني الطريق ، فيحسب الحاسب أنه يعني به الطريق، وإنما يعني سبيل الخير.(٢)

(٣) وتبعهما في الطريق سراقة بن مالك.

قال سراقة: بينما أنا جالس في مجلس قومي بني مدلج ، أقبل رجل منهم حتى قام علينا، ونحن جلوس، فقال: يا سراقة ، إني رأيت آنفاً سودة بالساحل، أراها محمد وأصحابه. قال شراقة: فعرفت أنهم هم. فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت، فأمرت

---

(١) الرحيق المختوم(ص١٩٤- ١٩٨) للمباركفوري ، (السيرة النبوية)(١/٤٩١-٤٩٢) لابن هشام .

(٢) رواه البخاري عن أنس (١/٥٥٦)

جاريتي أن تخرج فرسي، وهي من وراء أكمة، فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزجه الأرض، وخفضت عليه ، حتى أتيت فرسي فخررت عنها، فقمت، فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام ، فاستقسمت بها، أضرهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأولام ، تقرب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ – وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات – ساخت يدا فرسي في الأر، حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت الأزلام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم ، ووقع في نفسي حيث لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآمي، ولم يسألاني إلا أن قال: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب لي في رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله ﷺ .[1] وكان الكتابُ معه إلى يوم الفتح مكة فجاءه بالكتاب ، فوفَّاه له رسول الله ﷺ، وقال: يوم وفاءٍ وبِرٍ، وعرض عليهما الزاد والحِملان، فقالا: لا حاجة لنا به، ولكن عمِّ عنا الطلب، فقال: كُفيتم، ورجع فوجَدَ الناس في الطلب، فجعل يقول: قد استبرأتُ لكم الخير، وقد كفيتم ما هاهنا، وكان أول النار جاهداً عليهما، وآخره حاراً لهما.[2]

(٤) ومر في مسيرة ذلك حتى مر بخيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء الخيمة ، ثم تطعم وتسقي من مر بها ، فسألاها : هل عندك

(١) أخرجه البخاري(٧/١٨٦/١٨٨) ، والحاكم(٣/٦ ، ٧) من حديث سراقة ، وأخرج بعضه مسلم(٢٠٠٩) من حديث البراء ، وأخرجه البخاري(٧/١٩٦) ، وأحمد(٣/٢١٢) من حديث أنس . انظر (الرحيق المختوم)(ص١٩٩) للمباركفوري.

(٢) انظر (زاد المعاد في هدي خير العباد)(٣/٥٤) لابن القيم الجوزية.

شيء ؟ فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى والشاء عازب [١]، وكانت سنة شهباء. فنظر رسول الله ﷺ إلى الشاة في كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم ، فقال: هل بها من لبن ؟ قالت: هي أجهد من ذلك. فقال: أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت: نعم بأبي وأمي، إن رأيت بها حلبا فاحلبها. فمسح رسول الله ﷺ بيده ضرعها، وسمى الله ودعا ، فتفاجت عليه ودرت، فدعا بإناء لها يربض الرهط [٢]، فحلب فيه حتى علته الرغوة، فسقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب، وحلب فيه ثانياً، حتى ملأ الإناء، ثم غادروا فارتحلو. فما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا يتساوكن[٣] هُزالاً، فلما رأى اللبن عجب ، فقال : من أين لك هذا ؟ والشاة عازب ، ولا حلوبة في البيت ؟ فقالت : لا والله أنه مر بنا رجل مبارك كان حديثه كيت وكيت، ومن حاله كذا وكذا ، قال : إني والله أراه صاحب قريش الذي تطلبه، ففيه لي يا أم معبد، فوصفته بصفاته الرائعة بكلام رائع كالسامع ينظر إليه وهو أمامه قالت : ظاهِرُ الَوضاءة، أبلجُ الوجه [٤]، حَسَنُ الخَلْقِ، لم تعبه ثُجْلَة[٥]، ولم تُزْر به صُعْلَة [٦]، وسيم قَسِيم [٧]، في عَيْنَيْهِ دَعَجٌ[٨]، وفي أشْفَارِهِ وطفٌ [٩]، وفي صوته صَحَل ،وفي عُنُقِهِ سَطَعٌ ، أحورُ، أكحل ،

---

(١) عازب: أي لا لبن فيها.

(٢) يربض الرهط : يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض من ربض المكان.

(٣) يتساوكن : يتمايلن من شدة ضعفهن.

(٤) أبلج الوجه : مشرقه ومسفره.

(٥) الثُّجلة : ضخامة البطن. (٦) الصعلة : صغر الرأس .

(٧) الوسيم والقسيم : الحسن

(٨) الدعج : سواد العينين. (٩) وفي أشفاره وطف : أي في شعر أجفانه طول.

أزجُّ ، أقرنُ، شديدُ سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقارُ، وإن تكلم، علاه البهاءُ، أجملُ الناس وأبهاهُم مِن بعيد ، وأحسنهُ وأحلاه من قريب

حَلْوُ المنطق ، فصلٌ ، لا نَزْر ولا هَذْر ،كأنَّ منطقه خرزاتُ نظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ ، ربعةٌ ، لا تقحمُه عينٌ مِن قصر، ولا تشنؤ مِن طول، غصنٌ بين غُصنين، فهو أنضرُ الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدْراً ، له رفقاء يحفُّون به، إذا قال: استمعوا لقوله، وإذا أمر، تبادروا إلى أمره، محفودٌ(١) محشودٌ(٢) لا عابس ولا مُفْنِدٌ، (٣)

فقال أبو معبد: واللهِ هذا صاحب قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا ، لقد هممتُ أن أصحبَه، ولأفعلنَّ إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، وأصبح صوت بمكة علياً يسمعونه ولا يرونه القائل :

جَزَى اللهُ ربُّ العَرْشِ خَيْرَ جَزائِهِ ❁ ❁ رَفِيقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ

هُمَا نَزَلاَ بالبرِّ وارْتَحَلا بـه ❁ ❁ وَأَفْلَحَ مَنْ أمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ

فَيَا لَقُصَيٍّ مَا زَوَى اللهُ عَنْكُـمُ ❁ ❁ بِهِ مِنْ فَعَالٍ لا يُجَازَى وَسودَدِ

لِيَهْنْ بَنِي كَعْبٍ مَكانُ فَتَاتِـهِمْ ❁ ❁ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤمِنِينَ بِمَرْصَـدِ

سَلُوا أُخْتَكمْ عَنْ شَاتِهَا وإنَائِهَا ❁ ❁ فَإنَّكُمُ إنْ تَسْألوا الشَّاءَ تّشهَدِ(٤)

---

(١) المحفود : الذي يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته .

(٢) المحشود : هو الذي يجتمع إليه الناس .

(٣) لا عابس ولا منفد : بكسر النون هو الذي يكثر لومه.

(٤) قال شعيب الأرنؤوط : في تحقيقه (زاد المعاد)(٥٦/٣) حديث حسن ، أخرجه الحاكم(٩،١٠/٣) من حديث هشام بن حبيش ، وأورده الهيثمي في (مجمع الزوائد)(٥٨/٦)، ونسبه للطبراني وقال : وفي إسناده جماعة لم أعرفهم ، وله شاهدان آخران من حديث جابر وأبي معبد الخزاعي ، ذكرهما الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (١٩٢،١٩٤/٣) ، وأخرجه ابن سعد في (الطبقات)(٢٣٠/١ ، ٢٣١) ٠ويروى أن حسّان بن ثابت لما بلغه شعر الجني وما هتف به في مكة قال أبياتاً ، مطلعها:

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهُمُ وقد سر من يسري إليهم ويغتدى

قالت أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنها –: ما دَرَيْنَا أين توجه رسول الله ﷺ ، إذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، فأنشد هذه الأبيات ، والنَّاس يتَّبعونه ويسمعونَ صوته ، ولا يرونه حتى خرج من أعلاها ، قالت: فلما سّمِعْنَا قوله، عرفنا حيثُ توجه رسول الله ﷺ، وأن وجههُ إلى المدينة.(١)

قالت أسماء – رضي الله عنها–: لما خرج أبو بكر مهاجراً أخذ كل ماله معه، وكان ستة آلاف درهم.

قالت: فدخل علينا جَدّي أبو قاحفة ، وكان قد ذهب بصره ، فقال إني أراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: قلت له كلاَّ يا أبت إنه ترك لنا خيراً كثيراً، وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوّة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده وضعتها عليها، وقلت يا أبت هذا المال الذي ترك لنا أبو بكر. فقال: إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ (٢) لكم. قالت أسماء بعد ذلك: والله ما ترك لنا شيئاً، وإنما أردت أن أسكن الشيخ بذلك لا غير.

---

(١)انظر (زاد المعاد)(٣/٥٧-٥٨) لابن القيم الجوزية ٠ (الرحيق المختوم)(ص٢٠١) للمباركفوري ٠

(٢) البلاغ : ما يتبلغ به في الحياة من مال أو طعام ونحوه ٠

(٥) وفي الطريق لقى النبي ﷺ أبا بريدة، وكان رئيس قومه، خرج في طلب النبي ﷺ وأبي بكر؛ رجاء أن يفوز بالمكافأة الكبيرة التي كان قد أعلن عنها قريش ، ولما واجه رسول الله ﷺ وكلمه أسلم مكانه مع سبعين رجلا من قومه ، ثم نزع عمامته ، عقدها برمحه ، فاتخذها راية تعلن بأن ملك الأمن والسلام قد جاء ليملأ الدنيا عدلا وقسطاً.(١)

(٦) وفي الطريق لقى رسول الله ﷺ الزبير، وهو في ركب المسلمين، كانوا تجاراً قاقلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بيضاء)(٢)

---

(١) انظر (رحمة العالمين)(١٠١/١) ، (الرحيق المختوم)(٢٠١) للمباركفوري ٠

(٢) (الرحيق المختوم) للمباركفوري ٠

(٣)(هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص١٦٤) لأبي بكر جابر الجزائري.

نتائج وعبر : إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها فيما يلي :

(١) بيان خبث أبي جهل وشدته على المؤمنين فلعنه الله حياً وميتاً.

(٢) بيان مدى ما بذلت قريش في سبيل قتل النبي ﷺ، والقضاء على الإسلام.

(٣) من الجن مؤمنون ، وإن كلامهم ليسمع ، ووإن لم تر ذواتهم.

(٤) فضل أم معبد وهي عاتكة بن خالد.

(٥) تجليّ آية النبوة المحمدية في ذرّ الشاة وسقي الرسول ﷺ ، أهل بيت أم معبد وسائر أفراد رفقته.

(٦) تجليّ آية النبوة في سقوط سراقة وعجزه عن الوصول إلى النبيّ ﷺ ، وفي إخبار الرسول ﷺ له بأنه سيسور سوارى كسرى، وكان الأمر كما أخبر ﷺ.[٣]

أسئلة :

س١- متى كانت بداية هجرة النبي ﷺ ؟

س٢- ما اسم الغار الذي تخفى فيه النبي ﷺ وصاحبه ؟

س٤- من صاحب النبي ﷺ في الغار ؟

س٥- كم كان عدد الليالي التي اختفى فيها النبي ﷺ ؟

س٦- من الرجل الذي كان دليلاً للنبي ﷺ وصاحبه ؟

س٧- ما وظيفة عامر بن فهيرة ؟

س٨- لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعِبر اذكر ثلاثة منها ؟

النزول بقباء:

وفي يوم الإثنين ٨ ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة – وهي السنة الأولى من الهجرة – الموافق ٦٢٢/٩/٢٣م نزل رسول الله ﷺ بقباء.

قال عروة بن الزبير: سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته يا معشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون، فبادر الأنصار[١] بالسلاح ليتلقَّوا رسول الله ﷺ، وسُمِعتِ الرَّجةُ والتَّكبيرُ في بني عمرو بن عوف، وكبَّر المسلمون فرحاً بقُدومه، وخرجوا للقائه، فتلقَّوه وحيَّوه بتحية النبوة ، فأحدقوا به مطيفين حوله ، والسكينة تغشاه، والوحي ينزل عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ {٤} ﴾ [التحريم :٤] فسار حتى نزل بقُباء في بني عمرو بن عوف، فنزل على كُلْثُوم بْنِ الهدْمِ [٢] فأقام في بني عمرو أربع عشرةَ ليلةً وأسَّسَ مسجِدَ قُباء، وهو أول مسجد، أُسِّسَ بَعد البنوة.[٣]

---

(١) أخرجه ابن سعد في (الطبقات)(٢٣٣/١) ، وأخرجه البخاري بنحوه(١٨٩/٧، ١٩٠) من طريق ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير .. قال الحافظ : وصورته مرسل ، لكن وصله الحاكم(١١/٣) أيضاً من طريق معمر عن الزهري قال : أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع الزبير ، وأخرجه ابن هشام في (السيرة النبوية)(٤٩٢/١) من حديث ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة قال : حدثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله ﷺ به ، وقوله : (مبيضين) أي : عليهم الثياب البيض ، وقوله : هذا جدكم : أي : حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه ، وفي رواية معمر: هذا صاحبكم.
انظر: (زاد المعاد)(٥٨/٣)(السيرة النبوية)(٤٩٢/١) ، (الرحيق المختوم)(ص٢٠٢)

(٢) (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص١٦٤) لأبي بكر جابر الجزائري – حفظه الله تعالى –

(٣)(الرحيق المختوم)(ص٢٠٢) ، (زاد المعاد)(٥٨/٣)(السيرة النبوية)(٤٩١/١) ،(هذا الحبيب يا محب)(ص١٦٣).

(٤) ذكر ابن هشام في (السيرة)(٤٩٣/١) الروايتان الأولى هذه والثانية – على سعد بن خيثمة – ولم يرجح شيء منها – لكن رجّحَ الرواية الأولى ابن القيم – رحمه الله – في (زاد المعاد)(٥٨/٣) حيث قال : والأول أثبت.

وقد ذكره الله جل وعلا في كتابه وأثنى على أهله خيراً؛ قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة:١٠٨]

ومكث علي بن ابي طالب بمكة ثلاثاً، حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، ثم هاجر ماشياً على قدميه، حتى لحقهما بقباء ، ونزل على كلثوم بن الهدم قِل لبيته: وقد تفطرت قدماه ﷺ حتى دعا به رسول الله ﷺ قيل إنه لا يقد على المشي فأتاه رسول الله ﷺ واعتنقه وبكى رحمةً به ، وتفل في كفيه الطاهرتين ومسح بهما رجلي عليّ فشُفيَ في الحال، ولم يشك قدميه حتى قُتِل ﷺ، وقد نزل علي على امرأة لا زوج لها فرأى رجلاً يأتيها بالليل فارتاب في أمرها فسألها فقالت الذي يأتيني هو سهل بن حنيف إنه رآني امرأة لا زوج لي فهو يكسر أصنام قومه ويحملها إلي ويقول احتطبي بها ، فكان يذكر عليّ هذا لسهل بن حنيف بعد موته رضي الله عنهم أجمعين.(١) وأقام رسول الله ﷺ بقباء أربعة أيام : الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس.(٢) وهنا بقباء أتى سلمان الفارسي الذب طالما انتظر مجيئه جاءه من المدينة بكيس من التمر وقال هذا صدقة تصدقت بها عليكم – وهو يريد بذلك اختباره – فقال الحبيب ﷺ : ﴿ لا نأكل الصدقة ﴾ (٣)وأمره أن يتصدق بها على غيره ، وانصرف سليمان وعاد في اليوم الثاني معه تمر آخر وقدمه للرسول ﷺ ، وقال : هذه هدية قدمتها لك ، فقبلها ﷺ ودعا له بخير.

---

(١) (السيرة النبوية)(٤٩٣/١) لابن هشام ،(هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص١٦٤) لأبي بكر جابر الجزائري – حفظه الله تعالى.

(٢) انظر (زاد المعاد)(٥٨/٣) .

(٣) البخاري ومسلم – انظر كتابي (الفقه المختصر من الكتاب والسنة المطهرة)(ص١٧٨).

حيث وضعت فيه بحث توسعت فيه بالأدلة الصحيحة. والحمد لله على إتمامه.

وهنا أعلن سلمان إسلامه، فقال: **أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله**. وسبب عمل سلمان هذا أن علم من الكتب السابقة أن النبيّ محمداً ﷺ من نعوته وصفاته أنه يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة . ولما قضى رسول الله ﷺ ما كتب الله له من أيام في قباء بديار بني عمرو ابن عوف سار إلى المدينة وفي طريقه أدركته صلاة الظهر بديار بن سالم بن عوف وكان اليوم يوم جمعة فصلى بهم الجمعة وخطبهم في مسجدهم ببطن الوادي (**دانونا**) فكانت أول جمعة صليت في الإسلام ؛ وركب الحبيب ﷺ راحلته فأتاه عُتبان بن مالك وعباس بن عبادة في رجال من بني سالم وقالوا : يا رسول الله أقم عندنا حيث العدد والعدة والمنعة ، وهم ممسكون بخطام الناقة لِيُنيخوها فقال لهم ﴿ **دعوها فإنها مأمورة** ﴾ وواصل سيره إلى طيبة طابت مغانيها، وسلام على ساكنيها.

نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نوجزها في الآتي :

(١) بيان أن مسجد قباء كان أول مسجد بُنِيَ في الإسلام .

(٢) بيان كيفية معرفة سلمان للنبي ﷺ وذلك بما أجرى من اختبار عليه بالصدقة والهدية لعلمه السابق أن من صفات نبيّ آخر الزمان أنه يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة.

(٣) بيان أول جمعة صليت في الإسلام هي تلك التي صلاها رسول الله ﷺ في مسجد بني سالم بن عوف ببطن وادي (**دانونا**) .

(٤) عرض بني سالم على النبيّ ﷺ الإقامة بينهم وترغيبه في ذلك وذكرهم لكثرة رجالهم وسلاحهم ومنعتهم الحربية يُعتبر موقفاً مشرفاً خالداً له رضي الله عنهم وأرضاهم.

أسئلة :

س١- متى نزل الرسول ﷺ قباء ؟

س٢- عند نزوله ﷺ قباء نزلت آيتين أولى : تثبت الولاء لله ولرسوله والمؤمنين الثانية : تذكر المسلمين بأنهم يحبون الطهارة . اذكر الآيتين الكرمتين ؟

س٣- لماذا تأخر علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الهجرة بمكة ثلاثة أيام ؟

الدخول في المدينة :

وبعد الجمعة دخل النبي ﷺ المدينة – ومن ذلك اليوم سميت بلدة يثرب بمدينة الرسول ﷺ ، وكان يوماً تاريخياً أغر ، فقد كانت البيوت والسكك ترتج بأصوات التحميد والتقديس، وكانت الأنصار تتغنى فرحاً بقدومه عليه السلام. (١) ثم رَكِبَ ﷺ ، فأخذوا بخِطام راحلته، هَلُمَّ إلى العدد والعُدَّة والسلاح والمنعة، فقال: ﴿ **خَلُّوا سَبِيلَهَا، فإنها مأمورةٌ** ﴾ فلم تزل ناقته سائرة به لا تمرُّ بدارٍ من دُور الأنصار إلا رغِبوا إليه في النزول عليهم، ويقول :

﴿ **دَعُوهَا فإنَّها مأمورَةٌ**﴾ فصارت حتى وصلت إلى موضع مسجده اليومَ، وبركت، ولم ينزل عنها حتى نَهَضَتْ وسَارَاتْ قليلاً ، ثم التفت ، فرجعت ، فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها ، وذلك في بني النجار أخوالِهِ ﷺ (٢).قال البراءُ: أوَّلُ مَن قَدِمَ عَلَيْنَا مِن أصحاب رسول الله ﷺ مُصْعَبُ ابنُ عُمير وابن أم مكتومٍ ، فجعلا يُقْرئانِ النَّاس القرآن، ثم جاء عمارٌ وبلالٌ وسعدٌ ، ثم جاء عمرُ بنُ الخطَّاب ﷺ في عشرين راكباً، ثُمَّ جاء رسُولُ الله ﷺ ، فما رأيتُ النَّاسَ فَرِحُوا بشيء كَفَرحهمُ بَهِ حتى رَأيتُ النِّساء والصِّبيان والإماءَ يقولونَ: هذا رسُولُ الله قدْ جاءَ (٣).

---

(١) لم نورد قصيدة (طلع البدر علينا) وذلك لعدم ورودها في (كُتُب صحيح السيرة) لذلك علماء السير لم يوردها كإبن هشام وما أكثر القصائد التي أوردها – وأشار ابن القيم على وهم في ثبوتها في الزمان والمكان ، وما ذكر المباركفوري في حاشية كتابه – بعيداً جداً عن منهج المحدثين فلا تغتر بما نقله عن العلاَّمة المنصور فوري . والخبر في نشيدة (**طلع البدر علينا من ثنيات الوداع**) أعله الحافظ العراقي في الإحياء وانظر (سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة)(٦٣/٢)(٥٩٨) للإمام الألباني.

(٢) انظر (زاد المعاد في هدي خير العباد)(٥٨/٣)

(٣) أخرجه البخاري(٢٠٣،٢٠٤/٧) في فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه ، وفي تفسير (سبح اسم ربك الأعلى) ، والطياليسي(٩٤/٢).

وقال أنس: شهدته يومَ دخلَ المدينة فما رأيتُ يوماً قطُّ، كان أحسنَ ولا أضوأ مِن دخلَ المدينة علينا ، وشهدتُه يومَ ماتَ، فما رأيتُ يوماً قطُّ، كان أقبحَ ولا أظلم مِن يومِ مات [1]وكان توفيق الله لها ، فإنه أحبَّ أن ينزل على أخواله ، ويكرمهم بذلك ، فجعل الناس يُكلِّمون رسول الله ﷺ في النزول عليهم، وبادر أبو أيوب الأنصاري إلى رحله ، فأدخله بيته ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: ﴿ **الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ** ﴾ وجاء سعد بن زرارة ، فأخذ بزمام راحلته ، وكانت عنده.[2]

ونزل رسول الله ﷺ بالسفل من الدار ، وأبو أيوب وأم أيوب بالعلوي فآلم ذلك أيوب ، فقال يا رسول الله إني أكره أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فاظهر أنت فكن في العلوي وننزل نحن فنكون في السفل ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا ان أكون في أسفل البيت** ﴾ وطابت نفس أبي أيوب ﷺ . وكان أبو أيوب يصنع الطعام فإذا أكل منه ﷺ وتركه أُخذ وقُدم لأبي أيوب ليأكل منه، فكان ﷺ يسأل عن موضع أصابع رسول الله ﷺ ليتتبع موضع أصابعه فيأكل منه رجاء البركة. فصنع له يوماً طعاماً فيه ثوم ، فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله ﷺ فقِيلَ له لم يأكل ففزع وأتى رسول الله ﷺ فقال: أحرامٌ ؟ فقال : ﴿ **لا ولكني أكره ذلك** ﴾ وهذا لأنه ﷺ يناجي المَلَك، وغيره لا يناجي.

---

(١) أخرجه أحمد(١٢٢/٣) والدارمي (٤١/١).قال شعيب الأرنؤوط على حاشية(زاد المعاد)(٦١/٣): وإسناده حسن.

(٢) انظر (صحيح مسلم)(١٦٢٣/٣)(١٧١) والبخاري(١٩٦/٧و١٩٧) و(الطبقات)(٢٣٧/١) و(مجمع الزوائد)(٦٣/٦) ، (البداية والنهاية)(١٥٩/٢)(السيرة النبوية)(٤٩٥/١) .

بناء المسجد النبوي الشريف.

بَرَكت ناقة النبي ﷺ مَوْضِعَ مسجده وهو يومئذ يُصليّ فيه رجالٌ من المسلمين ، وكان مِرْبَداً لِسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ غلامين يتيمين من الأنصار، كان في حَجرْ أسعد بن زُرارة، فساوم رسولُ الله ﷺ الغلامينِ بالمربَدِ ، ليتخذهُ مسجداً ، فقالا: بل نَهَبُهُ لك يا رسولَ الله، فأبى رسول الله ﷺ ، فابتاعَهُ بِعشرة دنانير ، وكان جداراً ليس له سقف ، وقبلتهُ إلى بيت المقدس، وكان يُصلي فِيهِ ويُجَمِّعُ أسعد بن زرارة قبل مقْدَم رسول الله ﷺ، وكان فيه شجرةُ غَرْقَدٍ وخِرَبٌ ونخَلٌ وقبور للمشركينَ ، فأمرَ رسول الله ﷺ بالقبورِ فنُبِشت ، وبالخرب فسوِّيت وبالنَّخلِ والشجرِ فقطِّعت وصفت في قبلةِ المسجد، وجعَلَ أساسه قريباً من ثلاثة أذرع، ثم بنوه باللبن، وجعل رسول الله ﷺ يبني معهم، وينقُلُ اللبِنَ والحجارة بنفسه ويقول:

اللهم لا عَيْشَ إلاَّ عَيْشَ الآخرهْ فاغْفِر لِلأنْصَار والمُهَاجِرَه

وكان يقول :

هذا الحِمَالُ لا حِمَلُ خَيْبَر هذا أبرُّ رَبَّنا وأطْهَر[1]

وجعلوا يرتَجِزُن ، وهم ينقلونَ اللَّبن، ويقول بعضهم في رجزه :

لَئِن قَعَدْنَا والرَّسولُ يَعْمَلُ لَذَاك مِنَّا العَمَلُ المضَلَّلُ[2]

---

(١)أخرجه أخرجه بنحوه البخاري(١٩٢،١٩٣/٧) ،ومسلم (٤٣٨/١ ،٤٣٩)(٢٠٧/٧) وانظر (زاد المعاد)(٦٢/٣). حقيق شعيب الأرنؤوط.

(٢) المصدر السابق .

وجعل قِبلته إلى بيت المقدس ، وجُعِلَ له ثلاثة أبواب : باباً في مؤخره ، وباباً يقال له : باب الرحمة ، والباب الذ يدخل من رسول الله ﷺ، وجعل عمده الجذوع ، وسَقَفَه بالجريد ، وقيل له : ألا تُسَقِّفه ، فقال : (لا ، عَريش كعريش موسى) وبنى إلى جنبه بيوت أزواجه باللَّبن ، وسقفها بالجريد والجذوع ، فلما فرغ من البناء بنى بعائشة في البيت الذي بناهُ لها شرقي المسجد قبيله ، وهو مكان حجرته اليوم ، وجعل لسودة بنت زمعة بيتاً آخر.(١)

نتائج وعبر :

(١) بيان عظم فرحة الأنصار بمقدم الرسول ﷺ ، وما أبدوه من حفاوة وترحيب لم يسبق لهما نظير في التاريخ البشري .

(٢) بيان آية الناقة في سيرها وبروكها لقوله ﷺ : (**دعوها فإنها مأنورة**).

(٣) بيان فوز أبي أيوب خالد بن زيد بنزول الرسول ﷺ بداره ، وإقامته بها حتى بنى مسجده وحجرات نسائه بإزائه .

(٤) بيان أدب أبي أيوب وكمال حبه لرسول ﷺ إذ لم تطب نفسه أن يسكن في أعلى المنزل والرسول ﷺ في أسفله.

(٥) مشروعية التماس البركة من آثار النبي ﷺ. إن وجدت كسؤره وشعره وريقه وثيابه، وما إلى ذلك .

(٦) بيان بناء المسجد النبوي الشريف وبناؤه أول عمل قام به النبيّ ﷺ في المدينة.

---

(١)(الطبقات)(١/٢٤٠) لابن سعد.

جهود الرسول ﷺ في الإصلاح والتأسيس والبناء بالمدينة النبوية

إنه ساعة حلوله بالمدينة أخذ ﷺ على عاتقه مهمة الإصلاح والبناء والتأسيس والبناء للمجتمع المسلم والدولة الإسلامية الوارثة لأكبر دولتين عالميتين وهما دولة الفرس ودولة الروم ، وبتتبع الخطوات التالية تتجلّى هذه الحقيقة وتتأكد بإذن الله تعالى:

الخطوة الأولى: إن أول خطوة كانت في الإصلاح والبناء بناء المسجد النبوي الشريف والحجرات الطاهرات.

الخطوة الثانية: إستقدام الأسرتين الشريفتين أسرة الحبيب ﷺ وأسرة الصديق رضي الله عنه .

الخطوة الثالثة: الاتصال باليهود بواسطة عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، ودعوتهم إلى الإسلام. إنه نزل ﷺ بطيبة حتى جاءه عبد الله بن سلام أحد أحبار اليهود بالمدينة ليمتحنه في صدق نبوّته وصحة رسالته الأسئلة التالية :

ما أول أشراط الساعة ؟ما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟، ما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟

فأجابه الحبيب ﷺ قائلاً: (أخبرني بهن جبريل آنفاً) فقال عبد الله: جبريل ؟ فقال النبي ﷺ (**نعم**) قال عبد الله: هو عدو اليهود من الملائكة، وأخذ الرسول ﷺ يشرح مضمون الأسئلة فقال: (**أما أول أشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماءَ المرأة نزع الولد إلى أبيه، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزع الولد إلى أمه**).

وهنا قال عبد الله بن سلام: (**أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله**).

ثم أصبحت الإتصالات مع اليهود مواتية عن طريق عبد الله بن سلام، ودعوتهم إلى الإسلام.[١]

الخطوة الرابعة :

وضعه ﷺ ميثاقاً للمهاجرين والأنصار متضمَّناً موادعة اليهود بالمدينة .

إن من أبرز الجهود التي بذلها الحبيب ﷺ في الإصلاح والتأسيس والبناء كتابه الذي كتبه فضمّنه ميثاقاً في غاية الدقة ، وحسن السياسة فألّف بين سكان المدينة من الأنصار والمهاجرين وجيرانهم من طوائف اليهود وربط بينهم فأصبحوا به كتلة واحدة يستطيعون أن يقفوا في وجه كل من يريد أهل المدينة بسوء.

وهذه ديباجة الكتاب المذكور وبعض ما حواه من مودِّ الميثاق الذي اشتمل عليه.

---

(١)(هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص١٧٥)لأبي بكر جابر الجزائري – حفظه الله – بتصرف .

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا كتاب محمد النبيّ الأميّ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس..)

إلى آخر كتابه المتضمِّن لأعظم ميثاق عرفه الناس.

وهذا بعض ما جاء فيه من مواد في غاية الأهمّيّة.

- إن المؤمنين لا يتركون مُفَرَّجاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل.
- لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.
- إن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دَسيعة ظُلْم أو إثم أو عداوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم.
- لا يَقْتُلُ مؤمن مؤمناً في كَافر، ولا ينصر كَافراً على مؤمن، وإن ذمة الله واحده، يُجير عليهم أدناهم.
- إن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإنه مَنْ تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متُناصر عليهم .
- إن سِلمَ المؤمنين واحد لا يُسالم مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .
- من اغتبط مؤمناً قتلاً عن بيّنة فإنه قَوَدٌ به إلا أن يرض ولي لمقتول وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

- إن اليهود ينقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثِم فإنه لا يوُتغُ(١)
- إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإنَّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبرّ دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفة ، وإن النصر للمظلوم ، وإن الجار كالنفس غير مضارّ ولا آثم.
- وإنكم مهما اختلفتم في شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ. (٢)

الخطوة الخامسة : هي مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار.

إن من الرشد والكمال النبوي، والنضج السياسي، والحكمة المحمدية خطوة الحبيب ﷺ في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في ظرف كان المهاجرون فيه أحوج ما يكونوا إلى ما يخفف عنهم آلام الغربة والفاقة والفرقة إذ تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم، وحلوا ببلد لم يكن لِيتسِعَ حتى لأهله فضلاً عن النازحين إليه. وبهذه المؤاخاة التي آخى فيها الرسول الحكيم بين المهاجرين والأنصار، والتي كان الأنصاريّ فيها يقول لأخيه انظر إلى أعجب نسائي إليك أطلقها فإذا أنتهت عدتها تزوّجتها ، بهذه المؤاخاة كان المجتمع المدني قد الْتَحَمَ بعضه ببعض، وأصبح جسماً واحداً ينهض بكل عبء يُلقى عليه. وبذلك أعده الرسول الحكيم لتحمل عبء إعلان الحرب على الأبيض والأصفر، وقتال القريب والبعيد من كافة أهل الشرك والكفر.

---

(١) لا يوتع : لا يوبق ولا يهلك إلا نفسه وأهل بيته .

(٢) (هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص١٧٨).

وهذا نموذج مصغَّر من تلك المؤخاة :

المهاجر	الأنصاري	المؤخاة
أبو بكر الصديق	خارجة بن زهير	إخوان
أبو عبيدة عامر بن الجرّاح	سعد بن معاذ	إخوان
عبد الرحمن بن عوف	سعد بن الربيع	إخوان
عمر بن الخطاب	عتبان بن مالك	إخوان
عثمان بن عفان	أوس بن ثابت	إخوان
طلحة بن عبيد الله	كعب بن مالك	إخوان
سلمان الفارسي	أبو الدرداء	إخوان
بلال بن رباح	أبو رويحة	إخوان

وها هي ذي الكلمة الطيبة التي قالها الحبيب ﷺ فتمت بها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إنها هي قوله فداه أبي وأمّي والناس أجمعون :

﴿ إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم ﴾

وما إن قالها حتى قال الأنصار : أموالنا بيننا قطائع . فقال رسول الله ﷺ : (أو غير ذلك ؟) فقالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : ﴿ هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم العمل ، وتقاسمونهم الثمر ﴾. قالوا: نعم. وبعدها قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قومٍ قدِمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ، ولا أحسن بذلاً من كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. فقال الحبيب ﷺ :﴿ لا، ما أثنيْتُم عليهو ودعوتم الله لهم ﴾.

هكذا كانت المؤاخاة في ظروف الحاجة ، ولما وسع الله على المسلمين نسخ التقارث بها وأقر المودة والحب بينهم . فقال تعالى : ﴿ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾ [الأحزاب:٦]

نتائج وعبر: إن لهذه الخطوات الخمس من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها في الآتي :

(١) المسجد في الإسلام هو المنطلق لكل خير وكمال، تطلبه الأمة المسلمة، إذ فيه تعالج أمراض الجهل وسوء الخلق ، والملكات السيئة في بعض الأفراد.

(٢) ظهور الحكمة المحمدية في كل خطوة من هذه الخطوات الخمس.

(٣) الموادّ التي اشتمل عليها الميثاق الذي تضمنه كتاب رسول الله ﷺ للمهاجرين والأنصار دالة على ما كان يتمتع به الحبيب ﷺ من العلم والحكمة وحسن السياسة والرشد العام فيها

(٤) المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وكتاب الميثاق وما اشتمل عليه من مواد إصلاحية وسياسية الكل دال بوضوح على أن هناك توقعاً لحرب قد يطول مداها ، وكذلك فقد دامت زهاء عشر سنوات أي إلى أن التحق الحبيب ﷺ بالرفيق الأعلى ، وخاضها بعده خلفاؤه وتابعوهم ، وستبقى الحرب وتستمر بين الشرك والتوحيد ، والإيمان والكفر ما بقيت فتنة ، ووجد يعبد غير الله تعالى. [١]

مصداق هذا قوله تعالى من سورة الأنفال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال:٣٩]

---

(١) انظر (السيرة النبوية)(١/٥٠٤) لابن هشام ،(البداية والنهاية)(٣/١٧٦) لابن كثير ، (زاد المعاد في هدي خير العباد)(٣/٦٣) ،(الرحيق المختوم)(ص٢١٨) صفي الرحمن المباركفوري .(هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص١٧٨-١٧٩) لأبي بكر جابر الجزائري .

الأسئلة

س١- متى دخل النبي ﷺ المدينة النبوية ؟

س٢- من أول من قدم من مكة إلى المدينة من الصحابة ؟

س٣- أين نزل رسول الله ﷺ في المدينة النبوية ؟

س٤- أين بركت ناقة الرسول ﷺ ؟

س٥- ماذا كان يقول الرسول ﷺ لأصحابه عندما يعرضون عليه النزول عندهم ؟

س٦- اذكري جهود الرسول ﷺ في الإصلاح والتأسيس والبناء بالمدينة النبوية ؟

س٧- اذكري خمسة من المهاجرين والأنصار أخا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

غزوة بدر الأولى

أسبابها : إن سبب هذه الغزوة هو أن كرز بن جابر الفهري أغار على سرح المدينة أي ما شيتها من إبل وغنم وبقر، وذلك بعد عودة النبي ﷺ من غزوة العشيرة ببضعة أيام. (١)

فلما أغار كرز على سرح المدينة خرج الحبيب ﷺ مع أصحابه في طلبه لافتكاك الماشية منه، فاستخلف ﷺ على المدينة زيد بن حارثة مولاه ، وعطى اللواء عليّ بن أبي طالب ن وسار في طلب كرز حتى بلغ وادياً يقال له سَفْوَان في ناحية بدر ، وفاته كرز فلم يدركه ، فسمّيت هذه الغزوة بغزوة بدر الأولى، إذ انتهى فيها مسير رسول الله ﷺ إلى قرب بدر، ووصفت بالأولى لأن بعدها بدراً الكبرى التي نصر الله فيها الرسول والمؤمنين على أبي سفيان والمشركين وهناك بدر الآخرة، فلذا قيل في هذه بدر الأولى.(٢)

غزوة بدر الثانية الكبرى الفاصلة :

لهذه الغزوة الفاصلة في تاريخ الدعوة الإسلامية ، والمعَنْونُ لها في القرآن **بيوم الفرقان**.

---

(١) غزوة العشيرة في آخر جمادي الأولى ، وبعد عودته في أول الشهر من غزوة بواط بلغ النبي ﷺ أن أكثر من عير لقريش – أي قوافل تجارية – ذاهبة إلى الشام فعزم على السير إليها لعله يظفر ببعضها. فخرج ﷺ بعد أن استخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وأعطى اللواء عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ٠ وسار حتى نزل **العشيرة** من بطن ينبع، ولم يلق من عميرات قريش ولا عيراً لفواتها ، ولكنه ﷺ وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، فكان في ذلك خير للإسلام والمسلمين ، فأقام بالمنطقة بقية جمادي الأولى، ولياليَ من جمادي الآخرة، وعاد إى المدينة، ولم يلق كيداً من أحد ، والحمد لله.

وأخرج البخاري (٢١٨/٧) عن زيد بن أرقم قيل له : كم غزا النبي من ﷺ غزوة ؟ قال : تسع عشرة ، قيل : كم غزوت أنت معه ؟ قال : سبع عشرة ، قلت : فأيهم كانت أول ؟ قال : العشير أو العشيرة ، فذكرت لقتادة ، فقال : (العشيرة) وفي (صحيحه) أيضاً (١١٦/٨) عن بريدة قال : غزا رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة ، ولمسلم (١٨١٤) عنه أنه غز مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة ٠ وفي رواية له عنه أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة ، وقاتل في ثمانٍ منهن ٠

(٢) (هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص٢٠٦) لأبي بكر جابر الجزائري .

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى :

فلما كان في رمضانَ مِن هذه السنة ، بلغ رسول الله ﷺ خبرُ العِير المقبلة من الشام لقريش صُحبةَ أبي سفيان ، وهي العِير التي خرجوا في طلبها لما خرجت مِن مكة ، وكانوا نحو أربعين رجلاً ، وفيها أموالٌ عظيمة لِقريش، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها ، وأمر من كان ظهرُه حاضراً بالنهوض، ولم يحْتَفِلْ لها احتفالاً بليغاً ، لأنه خرج مُسْرِعاً في ثلاثمائة وبضعة عشرة رجلاً، ولم يكن معهم من الخيل إلا فَرَسان :

فرس للزبير بن العوام، وفرسٌ للمِقداد بن الأسود الكندي ، وكان معهم سبعون بعيراً يَعْتَقِبُ الرجلان والثلاثةُ على البعير الواحد، فكان رسولُ الله ﷺ ، وعلي ، ومَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَدٍ الغَنوي، يعتقِبون بعيراً [1]

وزيد بن حارثة ، وابنه وكبشةُ موالي رسول الله ﷺ ، يعتَقبونَ بعيراً وأبو بكر ، وعمر ، وعبدُ الرحمن بن عوف ، يعتقبون بعيراً ، واستخلف على المدينةِ وعلى الصلاة ابنَ أم مكتوم ، فلما كان بالرواحاء[2]

---

(١)قال شعيب : هذا قول ابن إسحاق كما في (السير)(١/٦١٣)(١/٤١١) والذي جاء في (مسند) أحمد(٤٩٠١) و(٣٩٦٥) من حديث ابن مسعود قل : كنا يوم بدر ، كل ثلاثة على بعير – أي يتعاقبون – وكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ ، وكانت عقبة رسول الله ﷺ ، قال : فقالا : نحن نمشي عنك ، فقال:(ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما) وسنده حسن ، وصححه الحاكم ووفقه الذهبي.كذا قال شعيب ! وقال الألباني : سكت عنه الذهبي . وانظر (السلسلة الصحيحة)(٢٢٥٧) للإمام الألباني.

(٢) الرَوْحاء : بفتح وسكون الواو : قرية على نحو أربعين ميلاً من المدينة .

رد أبا لُبابة بن عبد المنر ، واستعمله على المدينة ، ودفع الواء إلى مُصعبِ بنِ عمير، والراية الواحدة إلى عليَّ بن أبي طالب ، والأخرى التي للأنصار إلى سعد بن معاذ، وجعل على الساقة قيس بن صَعْصَعَةَ ، وسار ، فلما قَرُبَ من الصَّفْرَاء ، بعث بَسْبسَ بن عمرو الجهني ، وعدي بن أبي الزغباء إلى بدر يتجسَّسان أخبار العِير.

وأما أبو سفيان ، فإنه بلغه مخرجَ رسول الله ﷺ وقصده إياه ، فاستأجر ضَمْضَمَ بنَ عمرو الغِفاري إلى مكة ، مُستصْرخاً لقريش بالنَّفير إلى عِيرهم ، ليمنعوه من محمد وأصحابه ، وبلغ الصريخُ أهل مكة ، فنهضوا مُسرِعينَ ، وأعبوا [1] في الخروج ، فلم يتخلَّفْ من أشرفهم أحدٌ سوى أبي لهب ، فإنَّه عوَّض عنه رجلاً كان له عليه دين ، وحشدُوا فيمن حولهم من قبائل العرب ، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي ، فلم يخرج معهم منهم أحد ، وخرجوا مِن ديارهم كما قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال:٤٧] وأقبلوا كما قال رسول الله ﷺ : ﴿ بِحَدِّهِمْ وَحَدِّيدِهِم ، تُحَادُّهُ وَتُحَآدُّ رَسُولَه ﴾ [2] ولما بلغَ رسول الله ﷺ خروجُ قُريش، استشار أصحابه، فتكلَّم المهاجرون فأحسَنُوا، ثم استشارهم ثانياً ، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثالثاً، ففهمت الأنصارُ أنه يعنيهم ، فبادر سعدُ بن معاذ، فقال: يا رسول الله ! كأَنَّكَ تُعَرِّضُ بنا ؟ وكان إنما يعنيهم، لأنهم بايعــوه على أن يمنــعوه من الأحمــر والأسود في ديارهم ، فلــما عزم على الخُـروج،

---

(١) يقال : أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم إلى الغزو.

(٢) من روايه ابن إسحاق في (السيرة النبوية)(٦٢١/١) لابن هشام . وأقره شعيب في تحقيق على الزاد (٣/١٧٢/٣)

استشارهم لِيعلم ما عندهم، فقال له سعد: لَعَلَّكَ تَخْشى أنْ تَكُون الأنصارُ تَرَى حقاً عليها أن لا ينصروك إلا في ديارها، وإني أقول على الأنصارُ وأُجِيب عنهم: فاظْعَنْ حَيْثُ شِئت ، وَصِلْحَبْلَ مَنْ شِئْتَ، واقْطَعْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ، وخُذْ مِنْ أمْوَالِنا مَا شِئْتَ، وَأعطِنَا مَا شِئْتَ ، وَمَا أَخَذْتَ مِنَّاْ كانَ أحَبَّ إلينا مما تركتَ ،وما أمَرْتَ فيه من أمرٍ فأَمْرُنا تَبَعٌ لِأمْرِكَ ، فوالله لو سرتَ حتى تبلغ البَرْكَ غمدان لنسيرَنَّ معكَ، ووالله لِئن استعرَضت بِنَا هذا البحر خُضناه معَكَ.

وقال له المقدادُ: لا نقولُ لك كما قال قَوْمُ موسى لِموسى: اذهب أنتَ وربك فقاتِلا إنَّا هَاهُنَا قَاعِدونَ، ولكِنَّا نُقاتل عَنْ يَمِينكَ، وعن شِمَالِكَ، وَمنْ بَيْنِ يَديْكَ ، ومِنْ خلفكَ فأشرق وَجْهُ رسول الله ﷺ ، وسُرَّ بِما سَمِعَ مِنْ أصحابهِ ، وقال عليه السلام : ﴿**سِيروا وأبْشِروا ، فإن اللهَ قَدْ وَعضدَنِي إحدَى الطائِفَتَين ، وإنِّي قَدْ رأيتُ مصارع القوْمِ**﴾ (١)

فسار رسول الله ﷺ إلى بدر، وخَفَضَ أبو سُفيان فَلَحِقَ بساحل البحر، ولما رأى أنه قد نجا، وأحرز العير، كتب إلى قريش: أن ارجعوا، فإنكم إنما خرجتم لِتُحْرِزُوا عيركم، فأتاهم الخبرُ، وهم بالجُحْفَةِ، فهمُّوا بالرجوع، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نَقْدَمَ بدراً، فنقيمَ بها، ونُطعِمَ من حَضَرَنَا من العرب، وتخافُنا العرب بعد ذلك، فأشار الأخنس ابن شُريق عليهم بالرجوع، فَعَصَوْه، فرجع هو وبنو زُهرة، فلم يشهد بدراً زُهري، وأرادت بنو هاشم الرجوع، فاشتدَّ عليهم أبو جهل، وقال: لا تُفَارِقُنا هذه العِصابة حتى نَرْجعَ، وسار رسولُ الله ﷺ حتى نزل عشياً أدنى ماء مِن مياه بدر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣/٧) وأحمد في (المسند)(٣٩٠/١ و٤٢٨)، ومسلم (١٧٧٩) من حديث أنس وغيرهم.

وسار المشركون سِراعاً يريدون الماء، وبعث علياً وسعداً والزبير إلى بدر يلتمِسونَ الخبر، فَقَدِمُوا بعبدين لقريش، ورسولُ الله ﷺ قائم يُصلي، فسألهما أصحاه: مَنْ أنتما ؟ قال: نحن سُقاةٌ لِقريش ، فكره ذلك أصحابه ، وودُّوا لو كانا لِعير أبي سفيان ، فلما سلَّم رسول الله ﷺ قال لهما : **أخبرني أيْنَ قُريشٌ** ؟ قالا : وراء هذا الكثيب . قال : **كم القوم** ؟ فقالا : لا عِلم لنا ، فقال رسول الله ﷺ : **كم ينحرون كُلَّ يوم** ؟ فقالا : يوماً عشراً ، ويوماً تسعاً ، فقال رسول الله ﷺ : **القومُ ما بين تسعمائة إلى الألف**، فأنزل الله عز وجلَّ في تلك الليلة مطراً واحداً، فكان على المشركين وابالاً شديداً منعهم من التقدم، وكان على المسلمين طَلاًّ طهَّرهم به، وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطَّأ به الأرض، وصلَّب به الرملَ ، وثبت الأقدام، ومهَّدَ به المنزل، وربط به على قلوبهم، فسبق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى الماء، فنزلوا عليه شطرَ الليل، وصنعوا الحياض، وبني لرسول الله ﷺ عريش يكون فيها تلٍّ يُشرف على المعركة، ومشى في موضع المعركة ، وجعل يُشسر بيده ،﴿ **هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان إن شاء الله ، فما تعدى أحد منهم موضع إشارته** ﴾. (١)

---

(١) انظر (مسند الإمام أحمد)(٢٦/١)،(٢١٩/٣)،(٢٥٨/٣) من حديث أنس وسنده صحيح ، ومسلم (١٧٧٩).

في معسكر الإسلام :

فلما طلع المشركون ، وتراءى الجمعانِ، قال رسول الله ﷺ : ﴿ **اللهُمَّ هذهِ قُرَيْشٌ جاءت بخيلائها وفَخْرِهَا ، جاءتْ تُحادُّك ، وتَكَذِّبُ رسولك** ﴾ ، وقام ورفع يديه ، واستنصر ربَّه وقال : ﴿ **اللهم أنْجِزْ لي ما وَعدْتَنِي ، اللهم إني أنشُدكَ عَهْدَكَ ووعْدَكَ** ﴾ ، فالتزمه الصديق من ورائه، وقال: يا رسول الله! أبشر، فوالذي نفسي بيده، لَيُنجزنَّ الله لكَ ما وَعَدَك)[1] واستنصر المسلمون الله ، واستغاثُوه، وأخلصوا له وتضرَّعوا إليه، فأوحى الله إلى ملائكتهِ : ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ [الأنفال:١٢]

فأوحى الله إلى رسوله : ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ [الأنفال:٩] وبات رسول الله ﷺ يصلي إلى جذْع شجرة هُناك ، وكانت ليلةَ **الجمعة السابع عشرَ من رمضان في السنة الثانية من الهجرة المباركة**

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث عمر قال : لما كان يوم بدر ، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين ، وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة رجلاً ، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ، ثم مد يديه ، فجعل يهتف بربه : (اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) ، فما زال يهتف بربه مادًّ يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربَّك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ...) وصححه الترمذي وعلي بن المديني ، وأخرجه أحمد(١/٣٠و٣٢) ، وأبو داود ، وأخرج البخاري(٧/٢٢٤، ٢٢٦) والترمذي وابن جرير من حديث ابن عباس قال : قال النبي ﷺ يوم بدر : (اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد) فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك . فخرج وهو يقول : (سيُهزم القوم ويولون الدبر) . انظر (زاد المعاد)(٣/١٧٦) تحقيق شعيب (٢).

التقاء الفريقين :

في صبيحة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة تلاقى فريق التوحيد مع فريق الشرك ، وقد قلَّلَ الله كلاًّ من الفريقين في عين الآخر قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ [الأنفال:٤٤]

وبدأت المعركة فرمى المشركون **مَهجَعاً مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما** – بسهم فكان أول قتيل من المسلمين في المعركة ، ثم رمى حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من ماء الحوض بسهم فأصاب نحره فقتل وهو الذي جاءت أمه رسول الله ﷺ لما عاد إلى المدينة وقالت يا رسول الله أخبرني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت ، وإلا فليرين الله ما أصنع – تريد من البكاء والنياحة عليه – فقال لها رسول الله ﷺ : ﴿ **ويحك أهبلت، إنها جنان ثمانٍ وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى** ﴾ (١)

وخرج من معسكر المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان رجلاً شَرِساً سيء الخلق فقال : اعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمنّه أو لأموتنّ دونه.

فخرج إليه حمزة رضي الله عنه فلما التقيا ضربه حمزة فأطنَّ (٢) قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبرَّ يمينه واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض فكان أول قتيل من المشركين.

---

(١) رواه البخاري من حديث أنس.وانظر (مشكاة المصابيح)(٣٨٠٩) تحقيق الإمام الألباني.

(٢) أطنَّ قدمه : أي قطعها من نصف ساقها.

المبارزة قبل الالتحام:

من سنة الحرب عند الأولين أنهم يبدأون المعركة بالمبارزة بأن يطلب أحد المعسكرين المبارزة من الآخر من باب إثارة الحميّة وتهييج المقاتلين.

وهنا في غزوة بدر خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة بن ربيعة فدعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار، وهم عوف ومعوّذ ابنا عفراء ، وعبد الله بن رواحه فسألوهم: من أنتم ؟ فقالوا رهط من الأنصار. فقالوا مالنا بكم حاجة ، ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج لنا أكفاءنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة ، وقم يا عليّ .**﴾ فقتل عليٌّ قِنْدَه الوليد، وقتل حمزة قِرنه عُتبة ، واختلف عُبيدة وقِرنهُ ضربتين ، فكرَّ علي وحمزةُ على قِرن عبيدة، فقتلاه واحتملا عبيدة[١] وقطعت رجل، فلم يزل ضَمِناً[٢] حتى مات بالصِّفراء)[٣]

ثم ظهر النبي ﷺ للناس، فحرّضهم على القتال، فقال : ﴿ **والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبراً إلا أدخله الجنة** ﴾ [٤]

ثم حمي الوطيسُ ، واستدارت رَحى الحربِ ، واشتدَّ القِتال ، وأخذَ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهالِ ، ومناشدة ربِّه عز وجل ، حتى سقط رِداؤه عن منكبيه ، فردَّه عليه الصديق ، وقال : بعض مُناشَدَتِك ربَّكَ ، فإنه منجز لك ما وعَدَكَ.[٥]

فأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة ، وأخذ القومَ النعاسُ في حال الحربِ ، ثم رفعَ رسولُ الله ﷺ رأسَه فقال : ﴿ **أبْشِرْ يا أبا بكر ! هذا جِبْرِيلُ عَلَى ثناياه النَّقْع** ﴾ [٦]

---

(١) أخرجه أحمد(١/١١) ، وأبو داود(٢٦٦٥) في الجهاد : باب المبارزة من حديث علي ، وإسناده قويٌ .

(٢) الضمن : هو المريض الذي به ضمانة في جسده من زمانه أو بلاء أو كسر أو غيره.

(٣) أخرجه الحاكم في (المستدرك)(٣/١٨٧، ١٨٨) ، قال شعيب الأرنؤوط : وإسناده قوي.

(٤) (هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص٢٢٢-٢٢٣) لأبي بكر جابر الجزائري.

(٥) تقدم تخريجه .

(٦) انظر (زاد المعاد) لابن القيم (٣/١٨٠) تحقيق شعيب الأرنؤوط.

وجاء النصر، وأنزل الله جنده ، وأيد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسراً وقتلاً، فقتلوا منهم سبعين، وأسرُوا سبعينَ.

ولما عزموا على الخروج ، ذكروا ما بينهم وبينَ بني كِنانة مِن الحرب ، فتبدَّى لهم إبليسُ في صورة سُراقة بن مالك المِدْلجي، وكان مِن أشراف بني كِنانة ، فقال لهم: لا غالب لكم اليومَ من الناس، وإني جارٌ لكم من أن تأتيكم كِنانة بشيء تكرهُونه، فخرجوا والشيطانُ جارٌ لهم لا يُفارقهم، فلما تعبَّؤوا للقتال ، ورأى عدوُّ الله جندَ الله نزلت مِن السماء، فَّر، ونَكَصَ على عَقِبَيْه، فقالوا: إلى أين يا سُراقة ؟ ألم تكن قُلتَ: إنك جار لنا لا تُفارقُنَا ؟ فقال : إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله، والله شديد العقاب ، وصدق في قوله : إني أرى ما لا ترون ، وكذب في قوله : إني أخاف الله . وكان خوفه على نفسه أن يَهْلِكَ معهم، وهذا أظهر.

ولما راى المنافقون ومَن في قلبه مرض قِلَّة حزب الله وكثرة أعدائه ، ظنوا أن الغلبة إنما هي بالكثرة ، وقالوا : ﴿ غَرَّ هؤلاء دِينهم ﴾ [الأنفال:٤٩]
فأخبر سبحانه أن النصر بالتوكل عليه لا بالكثرة، ولا بالعدد، والله عزيز لا يُغالب، حكيم ينصر من يستحق النصر، وإن كان ضعيفاً فعزتُه وحكمتُه أوجبت نصرَ الفئة المتوكلة عليه.

دنو العدو:

ولما دنا العدو وتواجه القوم ، قام رسول الله ﷺ في الناس، فوعظهم، وذَّرهم بما لهم في الصبر والثباتِ مِن النصر، والظفر العاجل، وثوابِ الله الآجل، وأخبرهم أن الله قد أوجب الجنة لمن استشهد في سبيله، فقام **عميرُ بنُ الحُمَامِ**، فقال: يا رسول الله، جَنّةٌ عَرْضُهَا السَّماواتُ والأرضُ ؟ قال: ﴿ **نعم** ﴾ قال: بَخٍ بَخٍ يَا رسولَ الله. قال: ﴿ **ما يَحْمِلُكَ على قولِكَ بَخ بَخ ؟** ﴾ قال: لا والله يا رسول اللهِ إلا رَجاءَ أنْ أكونَ مِنْ أهلِهَا. قال: ﴿ **فإنَّكَ مِنْ أهلِهَا** ﴾ قال: فأخرج تَمَرَاتٍ مِن قَرَنه، فجَعَلَ يأكُلُ مِنْهُنَّ، ثم قال: لئن حَييتُ حتَّى آكُلَ تَمَراتي هذهِ ، إنها لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، فرمى بما كان معه من التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَ حتى قُتِلَ [1] فكان أول قتيل ,وأخذ رسول الله ﷺ مِلء كَفَّهِ مِنَ الحصباءِ، فَرَمى بِهَا وجوهَ العَدُوِّ، فلم تترك رَجُلاً مِنهم إلاَّ ملأتْ عينيه، وشُغِلُوا بالتراب في أعينهم، وشغِلَ المسلمونَ بقتلهم [2]

---

(١) أخرجه أحمد(٣/١٣٦، ١٣٧) ، ومسلم(١٩٠١) والحاكم(٣/٤٢٦) من حديث أنس بن مالك ، وقوله : (بخ بخ) فيه لغتان : إسكان الخاء ، وكسرها منوناً ، وهي اسم فعل بمعنى استحسن ، تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير ، وقوله : (فأخرج تمرات من قرنه) أي من جعبة النشاب .

(٢) أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس بسند قال الهيثمي(٦/٨٤) رجاله رجال الصحيح . أن النبي ﷺ قال لعلي:

(**ناولني كفاً من حصبى ، فناوله ، فرمى به وجوه القوم ، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء فنزلت** : (**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**) وفي حيث عبد الله بن صعير : وأمر رسول الله ﷺ ، فأخذ كفاً من الحصى بيده ، ثم خرج ، فاستقبل القوم ، فقال : (**شاهت الوجوه ، ثم نفخهم بها**)، ثم قال لأصحابه : (**احملوا**) فلم تكن إلا الهزيمة ، فقتلَ الله من قتَلَ من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم).

وعن حكيم بن حزام قال : لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ ، فأخذ كفاً من الحصى ، فاستقبلنا به ، فرمى بها ، وقال : (**شاهت الوجوه**) ، فانهزمنا ، فأنزل الله عز وجل : (**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**) قال الهيثمي في (المجمع الزوائد) (٦/٨٤) رواه الطبراني ، وإسناده حسن . وانظر (تفسيرالقرآن العظيم)آية : ١٧ – لابن كثير.

فأنزل الله شأن هذه الرمية على رسوله.﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال:١٧]ومعنى الآية الكريمة: أن الله سبحانه أثبت لِرسوله ابتداء الرَّمي، ونفى عن الإيصال الذي لم يحصل برميته فالرميُ يُرادُ به الحذفُ والإيصال فأثبت لنبيه الحذفُ، ونفى عن الإيصال.

ودارت المعركة وشاركت فيها الملائكة وعلى رأسهم جبريل عليه وعليهم السلام وكان عددهم ألف ملك في صورة رجال عليهم عمائم بيض أرسلوها على ظهورهم إذ شوهد بعضهم وأخبر بهم الرسول ﷺ؛ قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال:٩]أي تطلبون الغوث منه لأنهم رضي الله عنهم ضجوا بالدعاء عند ملاقاة المشركين سائلين الله تعالى أن يمدهم بنصر منه فاستجاب الله لهم : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[الأنفال:١٢] وكانت الملائكة يومئذ تُبادر إلى قتل أعدائهم ، قال ابن عباس: (بينما رَجلٌ مِنَ المسلمينَ يومئذ يشتدُّ في أثر رجلٍ من المشركين أمامهُ إذ سَمِعَ ضَرْبَةً بالسَّوطِ فَوْقَهُ ، وصوْتُ الفارسِ فَوْقَهُ يقولُ : أقدِم حَيْزُم ، إذْ نظر إلى المشركِ أمامهُ مُسْتَلْقياً، فنظَرَ إليهِ ، فإذا هو خُطِمَ أنْفُهُ ، وشُقَ وَجْهُهُ ، كضربةِ السَّوطِ، فاخضَرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاريُّ ، فحدَّثَ بذلك رسُولَ الله ﷺ، فقال: ﴿ صَدَقْتَ ذلِكَ مِنْ مَدَد السَّماءِ الثالثة ﴾ (١)

---

(١) أخرجه مسلم(١٧٦٣)

وقال أبو داود المازني: (إني لأتبَعُ رجُلاً مِن المشركين لأضربه إذ وَقَع رأسُهُ قَبْلَ أن يَصلَ إليه سَيْفي ، فعرفتُ أنه قد قتَلَه غَيري)[1]

وجاء رجل مِن الأنصار بالعبَّاس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال العباس : إن هذا والله ما أسرني ، لقد أسرني رجل أجلح ، مِن أحسن الناس وجهاً ، على فرسٍ أبْلَق ما أراه في القوم ، فقال الأنصاري : أنا أسرته يا رسول الله : فقال : ﴿ أسْكُتْ فَقَد أيدَكَ الله بمَلَكٍ كريم ﴾ [2] وأَسِرَ من بني عبد المطلب ثلاثة : العباسُ ، وعقيلٌ ، ونوفل بن الحارث واستفتح أبو جهل في ذلك اليوم ، فقال : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرفه فأحِنْهُ الغداة ، اللهم أيْنا كان أحبَّ إليك ، وأرضى عِنْدَكَ ، فانصره اليوم ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:١٩] ولما وضع المسلمون أيديَهم في العدو يقتلون ويأسِرون، وسعدُ بن معاذ واقفٌ على بابِ الخيمةِ التي فيها رسول الله ﷺ وهي العَرِيشُ متوشِحاً بالسيف في ناسٍ مِن الأنصار ، رأى رسولُ الله ﷺ في وجهِ سعدِ بنِ معاذ الكراهية لما يصنَعُ الناسُ ، فقالَ رسولُ الله ﷺ :﴿ كأنَّكَ تَكْرَهُ النَّاسُ ؟ ﴾ قال : أجل واللهِ كانت أول وقعةٍ أوقعه الله بالمشركين ، وكان الإثخانُ في القتل أحبَّ إليَّ من استبقاء الرجال)[3]

---

(١)أخرجه ابن هشام في (السيرة النبوية)(٦٣٣/١) وأحمد في (المسند)(٤٥٠/٥) من طريق ابن إسحاق، حدثني أبي إسحاق بن يسار عن رجل من بني مازن عن أبي داود المازني . قال شعيب (في الحاشية على الزاد)(١٨٣/٣/٢) : وسنده حسن.

(٢)أخرجه أحمد (١١٧/١) من حيث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٣) انظر (زاد المعاد)(١٨٥/٣) لابن القيم تحقيق شعيب الأرنؤوط، (السيرة النبوية)(٦٢٨/١) لابن هشام .

ولما بردت الحربُ، وولى القومُ منهزمينَ، قال رسول الله ﷺ : ﴿ **من ينظر لنا ما صنع أبو جهل ؟** ﴾ فانطلقَ ابنُ مسعود ، فوجده قد ضَرَبَهُ ابنا عفراء حتَّى بَرَدَ ، وأخذَ بلحِيتهِ فقال : أنت أبو جهل ؟ فقال : لِمَن الدَّائرةُ اليوم ؟ فقال: لله ولِرسولهِ، وهل أخزَاك الله يا عَدُوَّ اللهِ ؟ فقال : وهل فَوْقَ رجُلٍ قَتَلَهُ قوْمُهُ ؟ فَقَتَلَهُ عبدُ اللهِ، ثم أتى النبي ﷺ ، فقال: قتلتُه : فقال : (الله الَّذي لا إله إلا هُو) فردَّدها ثلاثاً، ثم قال ﷺ : ﴿ **الله أكبر ، الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده، انطلق أرنيه** ﴾، فانطلقنا فأرينه إياه ، فقال : ﴿ **هذا فِرْعَوْنُ هذِهِ الأمَّةِ**﴾ (١)

ولقد انتهت المعركة بنصر حاسم للمسلمين إذ قُتِلَ من صناديد قريش سبعون وأسر منهم سبعون ، وقُتِلَ مع أبو جهل ، عتبة بن ربيعة وولده الوليد بن عتبة وخوه شيبة بن ربيعة ، وحنظلة بن أبي سفيان، وعقبة بن أبي معيط، وأبو البَحْترِي، وعبيدة بن سعيد بن العاص ، ونوفل بن خويلد، والنضر بن الحارث بن كَلَدة، والعاص ابن هشام وأمية بن خلف وغيرهم إذ كانوا سبعين قتيلاً.

وبين الأسرى: العباس عم النبي ﷺ ، وعقيل بن أبي طالب ، ونوفل ابن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن أبي سفيان وأبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، وأبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير، وسهيل بن عمرو أحد ساسة قريش البارزين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٩/٧) ومسلم(١٨٠٠) .

آية محمدية :

كانت المعركة دائرة والقتال مستمراً وسيف عكاشة بن محصن ينقطع من الضرب في يده فكيف يقاتل فأتى الرسول ﷺ وهو في العريش مركز القيادة شكا إليه انقطاع سيفه فأعطاه النبيّ ﷺ جذلاً [1] ، وقال ﴿ **قاتل بهذا يا عكاشة** ﴾ فلما أخذ من يد رسول الله ﷺ هزه في يده فعاد سيفاً في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان يسمى (العون) وما زال مع عكاشة يقاتل به حتى قتِلَ ﷺ في حرب الردة على عهد أبي بكر الصديق [2] فكان هذا السيف آية النبوة المحمدية [3] ثم ارتحل ﷺ مؤيداً منصوراً ، قرير العين بنصر الله له ، ومعه الأسرى والمغانم ، فلما كان بالصَّفراء ، قسمَ الغنائم ، وضرب عُنُقَ النَّضْرِ بن الحارث بن كلدة ، ثم نَزَلَ بَعِرْقِ الظَّبْيَةِ ، ضرب عُنُقَ عُقبة بن مُعَيطٍ.

ودخل النبي ﷺ المدينةَ مؤيداً مظفَّراً منصوراً قد خافه كُلُّ عدوٍ له بالمدينة وحولَها ، فأسلم كثير من أهل المدينة ، وحينئذ دخل عبد الله بن أبيٍّ المنافقُ وأَصحابهُ في الإسلام ظاهراً.

---

(١) جذلاً : أي عوداً من حطب.

(٢)انظر(السيرة النبوية)(٦٣٧/١) وسنده حسن كما قال شعيب في تحقيقه على (الزاد)(١٨٦/٣)وأخرجه بنحوه البخاري(٣٩٢/٤) .

(٣) انظر(هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص٢٢٤) لأبي بكر جابر الجزائري .

عدد من حضر بدرا من المهاجرين والأنصار.

وجملة من حضر بدراً من المسلمين **ثلاثمائة وبضعةَ عشر رجلاً.**

من المهاجرين ستة وثمانون.

ومن الأوس واحدٌ وستون .

ومن الخزرج مائة وسبعون، وإنما قل عدد الخزرج، وإن كانوا أشد منهم، وأقوى شوكة، وأصبر عند اللقاء ، لأن منازلهم كانت في عوالي المدينة ، وجاء النفير بغتةً ، وقال النبي ﷺ **﴿ لا يَتْبَعُنَا إلاَّ مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حاضراً ﴾** فاستذنه رِجالٌ ظهورهم في عُلو المدينة أن يستأنيَ بهم حتى يذهبوا إلى ظهورهم، فأبى [1]ولم يكن عَزمهم على اللقاء، ولا أعدُّوا له عدته، ولآتأهبوا له أهبته ، ولكن جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

عدد من استشهد من المهاجرين والأنصار.

واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً:

ستة من المهاجرين، وستة من الخزرج، واثنانِ من الأوس.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١) في الإمارة: باب ثبوت الجنة للشهيد ، وأحمد(١٣٦/٣) من حديث أنس بن مالك.

قضية الأسرى :

ولما بلغ رسول الله ﷺ المدينة استشار أصحابه في الأسارى ، فقال أبو بو بكر : يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإني أن تأخذ منهم الفدية ، فيكو ما أخذناه قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله ، فيكونو لنا عضداً.

فقال رسول الله ﷺ : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان – قريب لعمر – فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه لست في قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم.

فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ماقلت : وأخذ منهم الفداء ، فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر ، وهما يبكيان ، فقلت يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكا بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ، قال رسول الله ﷺ :للذي عرض علي أصحابك: من أخذ الفداء ، فقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة .[1] وأنزل الله تعالى [2] : ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞** ﴾[الأنفال:٦٧-٦٨]

---

(١) أخرجه مسلم (٥٨) في الجهاد ، وأبو داود(في الجهاد(٢٦٩٠) وأحمد في (المسند)(٣١/١) وانظر (أسباب النزول)(ص١٦١) (سورة الأنفال) للإمام أبي الحسين علي بن أحمد الواحدي النيسابوري – تحقيق – طارق الطنطاوي (تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي) (ص٣٦) و(الرحيق المختوم)(ص٢٧٠) للمباركفوري .

(٢) (أسباب النزول)(ص١٦٤) للواحدي النيسابوري ، (الدرر المنثورة)(٢٠٢/٣) لسيوطي وعزاه لأبي نعيم.

في (الرحيق المختوم) : والكتاب الذي سبق من الله هو قوله تعالى: ﴿ فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد :٤]

ففيه الإذنبأحد الفدية من الأسارى ولذلك لم يعذبوا ، وإنما نزل العتاب لأنهم أسروا الكفار قبل أن يثخنوا في الأرض، ثم إنهم قبلوا الفداء من أولئك المجرمين الذين يكونوا أسرى الحرب الحديث إلا ويحاكمهم ، ولا يكون الحكم في الغالب إلا بالإعدام أو الحبس حتى الموت.

واستقر الأمر على رأي الصديق فأخذ منهم الفداء من أربعة آلاف درهم ، إلى ثلاثة آلاف درهم ، إلى ألف درهم ، وكان أهل مكة يكتبون ، وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن عنده فداء دُفِعَ إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم ، فإذا حذقوا فهو فداء.

ومنَّ رسول الله ﷺ على عدة من الأسرى، فأطلقهم بغير فداء، ومنهم: **المطلب بن حنطب، وصيفي بن أبي رفاعة ، وأبو عزة الجمحي**، وهو الذي قتله أسرا في أحد.

ومنَّ على ختنه أبي العاص بشرط يخلي سبيل **زينب**، وكانت قد بعثت في فدائه بمال، بعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة ، أدخلتها بها على أبي العاص، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شدية ، واستأذن أصحابه في إطلاق أبي العاص ففعلوه ، واشترط رسول الله ﷺ على أبي العاص أن يخلي سبيل زينب ، فخلاها، فهاجرت، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار، فقال : كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها ، فخرجا حتى رجعا بها . وذلك بعد بدر بشهر تقريباً .

أسئلة :

س١- ماذا تعرف عن سيف عُكّاشة بن محصن ؟

س٢- ماذا تعرف عن عبد الله بن أُبي ؟

س٣- كم كان عدد المهاجرين من الأوس والخزرج ؟

هجرة زينب رضي الله عنها :

فلما قدم أبو العاص بن الربيع إلى مكة بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار إلى مكة ليأتيا بزينب. وبينما زينب تتجهّز للسفر لقينها هند بنت عتبة فقالت لها يا بنت محمد ألم يبلغني أنك تريدن اللّحوق بأبيك ؟ فخافتها زينب فقالت لها: ما أردت ذلك ، فقالت لها أي ابنة عمّي لا تفعلي، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك ، أو بمال تتبلغين به إلى أبيك، فإن عندي حاجتك، فلا تستحي مني فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال .قالت زينب: والله ما أراها قالت ذلك إلا تفعل، ولكن خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك.

ولما فرغت زينب من جهازها قدم لها حموها[١] كنانة بن الربيع بعيراً فركبته وأخذ هو قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهي في هودج لها على البعير وسمع بذلك رجال من

---

(١) حموها : أخو زوجها.

قريش، فلحقوا بها، فأدركوها بذي طوها، وكان أول من سبق إليها فروّعها هبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد إذ أشار إليها بالرمح فخافت فطرحت ما في بطنها، وبرك على الأرض حموها ونثر كنانته ، ثم قال لهم : والله لا يدنوا مني رجل إلا وضعت فيه سهمي، فتراجعوا عنه وانصرفوا ، ثم تقدم نحوه أبو سفيان ، مفاوضاً له فقال له: إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذا خرجت بإبنته إليها علانية على رؤوس الناس من بين أظهِرنا أنّ ذلك على ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت ، وإن ذلك منا ضعف ووهنٌ ، ولعمري مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، ومالنا في ذلك من ثؤرة[1]. ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فَسُلّها سراً وألحقها بأبيها، قال ففعل فأقامت ليالي حتى هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة، وصاحبه فَقَدِما بها على رسول الله ﷺ وكان في قصة هجرة زينب عبرة لإولي الألباب.

إسلام الشيطان : عُمير بن وهب

كان بمكة رجل يدعى عُمير بن وهب يمثل الشيطان في كيده وخبثه آذى المؤمنين في مكة أذىً كبيراً ؛ وصِفَ بأنه شيطان من شياطين قريش ، جلس يوماً يتحدث مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر، فذكر أصحاب القليب فقال صفوان، والله ما في العيش بعدهم خير ، فقال عمير صدقت والله، ثم قال: أما والله لاولا دَيْنٌ عليَّ ليس عندي قضاء، عيالٌ

---

(١) ثؤرة : طلب الثأر.

أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله ؛ فإن لي قِبَلَهم عِلّةً : ابني وهُيب أسير في أيديهم.فاغتنمها صفوان، وقال: عليَّ دينُك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أوَاسيهم ما بقوا لا يسعني شيء ويعجز عنهم. فقال له عمير : **فاكتم شأني وشأنك** ، قال صفوان : أفعل.

فأمر عمير بسيفه فشحذ له وسُمَّ[1] ثم انطلق حتى أتى المدينة ؛ فينما عمر ابن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشّحاً السيف ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، والله ما جاء إلا لشرّ ، ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ ، فقال يا نبيّ الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشّحاً سيفه .

فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **أدخله عليَّ** ﴾ فأخذ عمر بحمالة سيفه في عنقه ولبَّبه بها ، وقال لرجال من الأنصار ادخلوا على رسول الله ﷺ **فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله** ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: ﴿ **أرسله يا عُمر ، اذْنُ يا عمير** ﴾ وقال: انعموا صباحاً، وكانت هذه تحيّة أهل الجاهلية.

فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **فقد أُكرِمنا بتحية خير من تحيك يا عمير: بالسلام تحية أهل الجنة** ﴾ فقال عمير: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد. قال: ﴿ **فما جاء بك يا عمير ؟** ﴾ قال جئت لهذا الأسير الذي بين أيديكم – يعني ولده وهيباً – فأحسنوا به. قال الحبيب ﷺ : ﴿ **فما بال السيف في عنقك ؟** ﴾ قال: قبحها الله من سيوف

(١) يقال : سمّ السلاح سقاه السم بطريقة معروفة عندهم.

وهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال ﷺ :﴿ **اصْدُقني الذي جئت له ؟** ﴾ قال: ما جئت إلا لذلك قال النبي ﷺ: ﴿ **بل قعد مع صفوان بن أميّة في الحج ر فذكرتما أصحاب القليب من قُريش قم قلت لولا ديني عليَّ ، وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً فتحمل لك صفوان دَيْنك وعيالك على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك .** ﴾ قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنَّا يا رسول الله نكذِّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، وفوالله إني لأعلم أنه ما أتاك به إلا الله. فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **فقّهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيرَه** ﴾ فقعلوا وعاد عُمير إلى مكة بالدعوة إلى الإسلام بنفس القوة التي كان يدعو بها ضد الإسلام وأوذي كثيراً في ذلك ، وقد دخل بدعوته في الإسلام خلق كثير. وهكذا بعد ما كان عمير بن وهب شيطاناً فأصبح داعية إسلامية وهدى الله على يديه خلقاً كثيراً. وهنا تتجلى آية النبوة المحمدية والحقيقة الإيمانية وهي أن من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

أسئلة :

س١- من هو الرجل الذي كان يُمثِّل الشيطان في كيده ؟

س٢- اذكر قصة هجرة زينب رضي الله مختصرة ؟

س٤- كيف أسلم عُمير بن وهب ؟

س٥- ماذا قال رسول الله ﷺ لأصحابه عندما أسلم عُمير ؟

شرف أهل بدر :

أهل بدر هم المؤمنون الذين خرجوا من المدينة مع النبيّ ﷺ لاعتراض عير قريش القادمة من الشام .

ثم لما نجت العير تصدّوا لقتال كفار قريش في وادي بدر، وكانوا ثلثمائة وأربعة عشراً رجلاً على عدة قوم طالوت هؤلاء هم أهل بدر الفائزون بأكبر فضل، وأعظم شرف تدل لذلك الأخبار النبويّة الآتية:

(١) قوله ﷺ لأم حارثة الشهيد الأنصاري، وقد سألته قائلة يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب وإن تكن الأخرى ، فَلَيَرَيَنَّ الله ما أصنع – تعني من البكاء والنوح – فقال رسول الله ﷺ: ﴿ **ويحك أوهبلت أو جنة واحدة إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس** ﴾ [١] فهذا الخبر وإن كان في شهداء بدر فإنه دالٌ على فضل أهل بدر من استشهد منهم ومن لم يستشهد.

(٢) قوله ﷺ : ﴿ **لن يدخل النار رجل شهد بدراً أو الحديبية** ﴾ [٢]

---

(١)(هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص٢٣٩) لأبي بكر جابر الجزائري – حفظه الله وبارك فيه.
(٢) رواه أحمد في (المسند) من حديث جابر وهو صحيح على شرط مسلم ؛ وانظر (صحيح الجامع)(٥٢٢٣) ، (السلسلة الصحيحة)(٢١٦٠) للألباني.

(٣) روى البخاري أن جبريل أتى ﷺ النبيّ فقال له ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: ﴿ **من أفضل المسلمين** ﴾ أو كلمة نحوها قال أي جبريل وكذلك من شهد بدراً من الملائكة.

(٤) رواية الشيخين في حاطب بن أبي بلتعة وقد كتب كتاباً إلى أهل مكة قبيل تحرك الجيش الإسلامي لفتح مكة ، فقال عمر ائذن لي يا رسول الله أضرب عنقهُ فقال له النبيّ ﷺ : ﴿ **قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطّلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو قد غفرت لكم** ﴾ [1]فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال: الله ورسوله أعلم.

هذا بيان شرف أهل بدر وفضله ، ولا يسعنا نحن إلا أن نترضَّ عنهم ونسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم بفضل منه ورحمة إنه بر رحيم وجواد كريم.

---

(١) أخرجه أحمد، وابن ماجه ،وأبو داود والترمذي.عن علي بن أبي طالب ﷺ ومن طريق ابن عباس عند أحمد وعن جابر رضي الله عنهما.(صحيح الجامع)(٧١٢٦) للإمام الألباني.- رحمه الله -.

نـتائج وعبـر: إن لهذه المقطوعة من السيرة نتائج وعبراً نجملها في الآتي :

(١) العمل بمشروعية جزاء السيئة سيئة مثلها ؛ إذ قريش طردت المؤمنين وصادرت أموالهم ؛ فاعترض عيرها لأخذ ما معها من أموال كان عدلاً لا ظلم فيه

(٢) الأخذ بمدأ الدّفاع عن النفس عملاً بقول الله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ {٣٩}﴾ [الحج:٣٩]

(٣) لا إثم ولا عقاب على ترك المندوب من االأقوال والأعمال؛ إذ لم يعتب على الذين لم يخرجوا إلى غزوة بدر لكون الطلب كان ندباً لا وجوباً.

(٤) مشروعية الشورى وإنها من الواجبات الضرورية في كل ما يهم أمر المسلمين؛ لا ستشارة رسول الله ﷺ أصحابه في أمر قتال المشركين في بدر.

(٥) وجوب مراعة العهود والمواثيق والالتزام بها تجلّى هذا طلب النبيّ ﷺ بيان موقف الأنصار من القتال معه فيا لو حدث قتال بعد نجاة العير.

(٦) بيان فضل أبي بكر وعمر والمقداد بن عمرو وسعد بن معاذ، جلى ذلك في كلماتهم التي قالوها للرسول ﷺ عند طلبه المشورة من أفراد أصحابه حيث قرت بذلك عين النبي ﷺ.

(٧) بيان أن من ضروريات الحرب بث العيون للتعرف على تحركات العدو وعلى أماكن وجوده وتقدير قواته وحزر قوته، ومعرفة مدى ما تقدر عليه.

(٨) مشروعية استعمال الرموز والمعاريض والتورية في الكلام في حالة الحرب والتعمية على العدو، وقطع الطرق عليه، والحيلولة بينه وبين المرافق التي قد ينتفع بها في شأن غارته، والزحف بقواته.

(٩) مشروعية الضرب الخفيف الذي لا يكسر عضواً ولا يشين جارحة.

من أجل استنطاق أفراد العدو للحاجة إلى ذلك، وحرمة التنكيل وشدة التعذيب.

(١٠) ضرورة استعمال الرأي والمكيدة في الحرب.

(١١) آية انقلاب العصا سيفاً صارماً في يد عُكاشة بن محصن قاتل به طوال حياته منأعظم آيات النبوة المحمدية.

(١٢)آية حفنة الحصا التي رمى بها النبيّ ﷺ فأصابت جيشاً بكامله فخبّلته، وأصابته بالتمزق والهزيمة من آيات النبوة المحمدية.

(١٣) تقرير مبدأ: لا موالاة بين الكافر والمؤمن ؛ إذ قاتل الرجل ولده وقاتل ابن عمه في معركة بدر.

(١٤) قتال الملائكة في معركة بدر ورؤية بعضهم وظهورهم آثارهم آية النبوة المحمدية.

(١٥) خلان الشيطان إخوانه من المشركين إذ فر هارباً لما رأى الملائكة في ساحة المعركة بعد أن أجارهم ودخل المعركة معهم.

(١٦) بيان هلاك المستهزئين مصداقاً لقول الله تعالى لرسوله وهو في مكة :﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥] إذ هلك بالمعركة جلّهم كأبي جهل وعتبة وأمية والوليد وعقبة بن أبي معيط.

(١٧) وجوب رد الخلاف إلى الله والرسول في كل ما يشجر بين المسلم والمسلم ، إذ الخلاف الذي تم في شأن الغنائم رد إلى الله والرسول وقضى الله تعالى فيه بما هو العدل والخير.

(١٨) مشروعية فداء الأسرى أو قتلهم أو المن عليهم إذ رُدَ هذا إلى الإمام يحكم بما فيه خير للإسلام والمسلمين.

(١٩) موافقة عمر رضي الله عنه ربّه في أسرى بدر ، إذ كان قتلهم أولى من فدائهم.

(٢٠) تجلّى الرحمة المحمدية في وصيته بالأسرى خيراً وبيان مدى طاعة أصحابه له ﷺ.

(٢١) تقرير مبدأ الجوار في الإسلام وأن المسلمين يجير عليهم أدناهم والمرأة في الجوار كالرجل سواء.

(٢٢) بيان ما كان عليه العرب في الجاهلية من بعض الكمالات كالأمة والنجدة والعفة .

(٢٣) آية النبوة المحمدية في إخباره ﷺ عمير بما قاله في الحجر مع صفوان وليس معهما أحد إلا الله.

(٢٤) بيان تاريخ غزوة بدر وأنها في رمضان من السنة الثانية من الهجرة.[١]

أسئلة :

س١- من هم أهل بدر ؟

س٢- ما منزلة حارثة في الآخرة ؟

س٣- ماذا قال رسول الله ﷺ عندما سألته أم حارثه عن ابنها ؟

س٤- لأهل بدر شرف عظيم وردت فيه آثار صحيحة عن النبي ﷺ اذكر ثلاثاً منها ؟

س٥- لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعِبر اذكري ست نتائج منها ؟

---

(١) جميع النتائج والعبر من كتاب (هذه الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب) لفضيلة الشيخ / أبو بكر جابر الجزائري.- حفظه الله -.

غزوة مـؤته وأسبابها :

هذه إحدى الغزوات العظيمة في الغزو الإسلامي : وكانت في جمادي الأولى من سنة ثمان وكان سببُها أنَّ رسولَ الله ﷺ بعث الحارث بن عميرٍ الأزْدِي أحَد بني لِهْب بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم أو بُصرى، فعرض له شرحبيل ابن عمرو الغساني، فأوثقه رِباطاً، ثم قدّمه فضرب عنقه، ولم يُقتَل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره.

أمراء الجيش ووصية رسول الله ﷺ إليهم :

فاشتد ذلك حين بلغه الخبر، فبعث البعوثَ، واستعمل عليه زيد بن حارثة وقال: ﴿ **إنْ أُصيبَ فجعفَرُ بن أبي طالب على الناس، فإنْ أُصيبَ جعْفرٌ، فعبد الله بن رواحة** ﴾(١)

وكان عدد أفراد هذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل، ولما عين الحبيب ﷺ زيداً أميراً، وجدذجعفر في نفسه وقال يا رسول الله: ما كنت أذهب أن تستعمل عليَّ زيداً فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **أمض فإنك لا تدري أي ذلك خير** ﴾ وعندها بكى الناس وقالوا: هل متعتنا بهم يا رسول الله، وكان إذ قال فإن أصيب فلان فالأمير فلان أصيب كل ما ذكره.

توديع الجيش وبكاء عبد الله بن رواحة :

وتجهز الناس وودعهم رسول الله ﷺ والناس ، ولما ودع عبد الله بن رواحه بكى فقال الناس ما يبكيك ؟ فقال: ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكن سمعت رسول الله يقرأ آية وهي: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً** ﴾[مريم : ٧١]

---

(١) أخرجه البخاري(٣٩٣/٧) عن ابن عمر ، وأحمد(٢٩١/٥ و٣٠٠ و٣٠١) عن أبي قتادة . وانظر (زاد المعاد)(٣٨١/٣) ، (فتح الباري)(٥١٠/٧)(٤٢٦٠)،(هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم يا محب)(٣٨٤) لأبي بكر جابر الجزائري. (الرحيق المختوم)(ص٤٥٩) للمباركفوري.

فلست أدري كيف لي بالصَّدر بَعْدَ الوُرود ؟ فقال المسلمون: صحبكم اللهُ بالسلامة، ودفعَ عنكم، وردّكم إلينا صالِحين، فقال عبد الله بن رواحة:

لكِنَّنِي أسْأَلُ الرَّحْمنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِف الزَّبدَا
أوْ طَعْنَةً بَيدي حرَّان مُجهِزَةً بحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأحْشَاءَ والكَبِدا
حَتَّى يُقَالَ إذا مَرُّوا على جَدثي يا أرْشَدَ اللهُ مِن غَازٍ وَقَدْ رَشَدا[1]

تحرك الجيش الإسلامي، ومباغتته حالة رهيبة:

ثم مَضَوْا حتى نزلوا مَعان، فبلغ الناسَ أن هِرَقْل بالبلقاء في مائة ألف مِن الروم، وانضمَّ إليهم من لخَم ، وجُذام ، وبلْقَيْن وبَهراء، وبَلي، مائة ألف ، فلما بلغ ذلك المسلمين، أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتُبُ إلى رسول الله ﷺ، فنُخبِره بعدد عدونا، فإما أن يُمِدَّنا بالرجال ، وإما أن يأمُرنا بأمره، فنمضي له.

تشجيع عبد الله بن رواحة الناس:

فشجع الناس عبد الله بن رواحة ، فقال : يا قوم : والله إنَّ الذي تكرهون للتي خرجتم تطلبون : الشهادة، وما نقاتل الناسَ بعدد ولا قوَّة ولا كثرة ، ما نُقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا به الله، فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحُسنيين، إما ظَفَرٌ وإما شهادةٌ.

---

(١)انظر (السيرة النبوية)(٢/٣٧٣، ٣٧٤) عن ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة مرسلا.
وانظر(زاد المعاد)(٣/٣٨٢) تحقيق شعيب الأرنؤوط.

فمضى الناسُ حتَّى إذا كانوا بتُخُوم البَلقاء ، لقيتم الجموعُ بقرية يقال لها: مشارف ، فدنا العدوُّ ، وانحاز المسلمون إلى مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، فتعبَّى المسلمون، ثم اقتتلوا والراية في يد **زيد بن حارثة** ،فلم يزل يُقاتل بها حتى شَاطَ في رماح القوم وخرَّ صرِيعاً ، **وأخذها جعفرٌ** ، فقاتل بها وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيّبة وبارداً شرابُها

والروم روم قَدْ دنا عذابُها عليَّ إذ لا قيتها ضرابُها

حتى إذا أرهقه القتال ، اقتحم على فرسه ، فعقرَها ، ثم قاتلَ حتَّى قُتِلَ ، فكان **جعفر أوَّل من عَقَرَ فرسَه في الإسلام عند القتال** ، فقُطِعتْ يمينهُ، فأخذ الرايةَ بيساره، فَقُطِعت يسارهُ، فاحتضن الراية حتى قُتِلَ وله ثلاث وثلاثون سنة، ثم أخذها **عبد الله بن رواحة** ، وتقدَّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزلُ نفسه على فرسه، ويتردد بعض التردد، ثم نزل وهو يقول:

أقسمت يا نفس لتنــزلنّه طائعة أو لــتكرهِنَّه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة مالي أراكِ تكرهين الجنه

قد طال ما كنت مطــمئنة هل أنت إلاَّ نطفةٌ في شنه

فأتاه ابنُ عم له، بعرَق من لحم فقال: شُدّ بها صُلْبَك ، فإنك قد لقيتَ في أيامِكَ هذه ما لقيت، فأخذها مِن يده، فانتهس منها نفسه، ثم سمع الحَطْمةَ في ناحية الناس، فقال وأنت في الدنيا، ثم ألقاه مِن يده، ثم أخذ سيفه وتقدَّم ، فقاتل حتَّى قُتِلَ، ثم أخذَ الراية ثابتُ بن أقْرَم أخو بني عَجلان ، فقال: يا معشر المسلمين ! اصطلحُوا على رجل منكم، قالوا: أنتَ ، قال: ما أنا بفاعلٍ ، فاصطلح الناسُ على خالد بن الوليد فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد فعاذ بالناس** ﴾ فمن يومئذ سُمِيَ خالد سيف الله؛ فلما أخذ الراية دافعَ القومَ ، وحاش بهم ، ثم انحاز بالمسلمين ، وانصرف بالناس.[1]

---

(١)انظر (زاد المعاد)(٣/٣٨١-٣٨٣).

إخبار النبي ﷺ بالوقعة :

وبالمدينة يخبر بجريان المعركة بالتفصيل كأنه يشاهدها عن كثب فيقول بعد أن رقى المنبر ونادى بالصلاة جامعة : ﴿ **باب خير، باب خير، باب خير. أخبركم عن جيشكم هذا الغازي إنهم لقوا العدو فقُتِلَ زيد شهيداً فاستغفر له، ثم أخذ اللواء جعفر فسد على القوم حتى قُتِلَ شهيداً فاستغفر له ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة**﴾ وصمت حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان من عبد الله ما يكرهون ثم قال ﷺ : ﴿ **فقاتل القوم حتى قُتِلَ شهيدا**﴾ ثم قال :﴿ **لقد رفِعوا إلى الجنة على سرر من ذهب فرأيت سرير ابن رواحة ازوراراً عن سريرى صاحبيه فقلت عم هذا ؟ فقِيلَ : مضيا وتردد بعض التردد ثم مضى** ﴾ (١)

وقال موسى بن عقبة: قدم يعلى بن منْية على رسول الله ﷺ بخبر أهلِ مُؤتة ، فقال له رسولُ الله ﷺ : ﴿ **إن شِئتَ فَأخْبرني ، وإنْ شِئتَ أخبرتُكَ**﴾

قال: أخبرني يا رسول الله فأخبره ﷺ خبَرهُم كُلَّهُ ووصفهم له، فقال: والذي بعثَكَ بالحقِّ، ما تركت من حيثهم حرفاً واحداً لم تذكره ، وإن أمرهم لكام ذكرتَ، فقال رسولُ الله ﷺ ﴿ **إن الله رَفَعَ لي الأرْضَ حتَّى رَأيتُ مُعْتَرَكَهُمْ** ﴾ (٢)

---

(١) أخرجه ابن هشام (٢/٣٨٠) عن ابن إسحاق مرفوعاً ، ذكر ابن القيم في (زاد المعاد)(٣/٣٨٤)

(٢) انظر (زاد المعاد)(٢/٣٨٤) تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط.

امرأة جعفر تتحدث :

وقالت أسماء بنت عميس زوج جعفر الطيّار بن أبي طالب رضي الله عنهما : أتاني النبي ﷺ وقد فرغت من اشتغالي وغسلت أولاد جعفر ودهنتهم فأخذهم وشمهم ودمعت عيناه فقالت يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء ؟ قال: ﴿ **نعم أصيب هذا اليوم** ﴾ ثم عاد إلى أهله فأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعاماً، فهو أول ما عُمِلَ في دين الإسلام – ولما رجع ودنا من المدينة لقيهم رسول الله ﷺ فأخذ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه، فجعل الناس يحثون التراب على الجيش ويقولون: يا فرار يا فرار، ويقول الرسول ﷺ : ﴿ **ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله** ﴾

نتائج وعبر : إن لهذه القطعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نذكرها فيما يلي :

(١) فضيلة الأمراء الثلاثة زيد، وجعفر، وابن رواحة.

(٢) مشروعية توديع المسافر إلى سفر صالح كالجهاد والحج ونحوهما.

(٣) عظم خشية عبد الله بن رواحة وخوفه من النار.

(٤) بيان حقيقة كشف عنها ابن رواحة وهي أن المسلمين لا يقاتلون بعدد ولا قوة ، وإنما يقاتلون بالدين فإن كانوا صالحين مستقيمين انتصروا ، وإلا انكسروا.

(٥) مشروعية مخاطبة النفس وترويضها على الطاعات.

(٦) آيات النبوة المحمدية تتجلى في إخبار النبي ﷺ أهل المدينة بسير المعركة ووصفه لها أكنه يديرها ويشاهد سير القتال فيها ، ولم يخطىء في شيء منها ولو قل ، ولم يكن يومئذ أخبار سلكية ولا سلكية ولا عرض تلفاز ولا فيديو فكان إخباره عظم آية على أنه رسول الله ﷺ يتلقى الوحي من الله عز وجل.

(٧) بيان فضل خالد ، وسبب تلقيبه بسيف الله.

أسئلة :

س١– صف المعركة كما جاءت في هذه المقطوعة مع بيان الشواهد المثيرة فيها ؟

س٢– اذكر ما حدثت به إمرأة جعفر أسماء بنت عُميس ؟

س٣ بماذا لُقِبَ خالد بن الوليد وما مناسبة لقبه ؟

حجة الوداع والبلاغ

هذا الحدث من التاريخ الإسلامي له أهمية عظيمة حيث بيّن رسول الله ﷺ في حجته هذه من شرائع وأحكام وآداب، وسمّيت حجة الوداع لأن قوله ﷺ فيها : ﴿ **لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا** ﴾ كان مشعراً بالوداع ، وكذلك كان ، إذ لم يعش بعدها ﷺ إلا بضعة شهور وتوفاه الله عز وجل، وتُسَمَّى أيضاً حجة البلاغ ، لأن الرسول ﷺ بلغ فيها الكثير من الأحكام ، إنه لما دخل شهر ذي القعدة أخذ الرسول ﷺ يتجهز وأمر الناس بالجهاز كذلك معلناً له أنه يريد الحج ، وسمع ذلك مَنْ حول المدينة ، فَقَدِموا يُريدون الحجَّ مع رسولِ الله ﷺ، ووفاه في الطريق خلائقُ لا يُحصون ، فكانوا مِن بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله مدَّ البصر ، وخرج من المدينة نهاراً بعد الظهر لِسِتٍّ بَقِينَ مِن ذي القَعدةِ بعد أن صلَّى الظهرَ بها أربعاً، وخطبهم قبل ذلك خُطبةً علَّمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه. (١)

فلما كان بوادي العقيق على سبعة أميال من المدينة نزل عليه جبريل عليه السلام بالسلام من ربِّ العالمين فقال له : ﴿ **إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إنك بالوادي المبارك فصَلِّ فيه وقل عمرة في حجة** ﴾ وما رواه البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ بوادي العَقيق يقول : ﴿ **أتاني الليلة آت مِنْ رَبِّي عَزَّ وجل ، فقال: صَلِّ في هذا لوادي المُبارِكِ، وقل: عُمرةٌ في حجة** ﴾ (٢) وخير أصحابه بين الإفراد والتمتع والقِران (٣) فمنهم من أهل بحج ، ومنهم من أهل بعمرة، ومنهم من أهل بحج وعمرة ، وساروا حتى بلغوا سَرِف حيث جاءت عائشة رضي الله عنها العادة الشهرية ، فبكت وطمأنها الحبيب ﷺ بقوله: ﴿ **هذا شيء كتبه الله على بنات آدم فافعلي يا عائشة كل ما يفعله الحاج إلا أنك لا تطوفي بالبيت حتى تطهري** ﴾ (٤)

---

(١) انظر (زاد المعاد)(١٠٢/٢) تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط.

(٢) أخرجه البخاري(٣١٠/٣) في الحج : باب قول النبي ﷺ واد مبارك.

(٣) ارجع إلى (الفقه المختصر)(كتاب الحج من الكتاب والسنة المطهرة)(ص١٢٣) حيث ذكرت هناك أنواع الأنساك وأفضلها. والحمد لله على فضله وإحسانه ومتنانه.

(٤) ارجع (الفقه المختصر)(كتاب الطهارة)(ص٩) فقرة(٣٧) ما يمنع الحائض من العبادات والمباحات) و(كتاب الحج)(ص١٢٩) فقره (١١٤) والحمد لله الذي يسر لي جمعهُ.

ثم أمر من لم يسق الهدي أن يجعل حجه عمرة تخفيفاً عليهم ورحمة بهم وبمن يأتي بعدهم .[١]

ولما دخل مكة طاف بالبيت وسعى ولم يتحلل لسوقه الهديي، وبقى بعض أصحابه مفردين وليس معهم هدي فلم يتحللوا فأمرهم بالتحلل ، وقال مُرَغّباً لهم : ﴿ **لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ، ولجعلتها عمرة** ﴾ [٢] فحلّوا من إحرامهم، وسألوه : هل هذا لعامنا هذا خاصة أي التحلل بالعمرة ؟ فقال: ﴿ **لا؛ بل لأبد الأبد** ﴾، أي يجوز لأي مسلم يأتي مفرداً بالحج وليس معه هدي أن يفسخ الحج إلى العمرة.

ومكثوا بمكة محلين حتى يوم **التروية** [٣] فأحرموا بالحج وخرجوا إلى منىً وباتوا بها وبعد صلاة الصبح من يوم عرفة (تاسع الحجة)[٤]خرجوا إلى عرفة وعلَّمَ أثناء ذلك مَنَاسكهم وحَجّهم ، وخطب بعرفة لم يُسمع مثلها في طولها ولما اشتملت عليه من الشرائع والهدي.

وهذه بعرفة لم يُسمع مثلها في طولها ولما اشتملت عليه من الشرائع والهدى.

وهذه جلُّ فقراتها فلتقْرأ وليُوقف عند كل جملة منها فإنها كواكب هدى تضيء للمسلم الدُجى.

---

(١)(هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم يا محب)(ص١٤٦)

(٢) ارجع (الفقه المختصر)(ص١٢٣) مصدر رقم(٣١) فيه بحثٌ هام فانظره لزاماً.

(٣) سمعت شيخنا محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله تعالى يقول : سمي بالتروية : لأنه كانوا يروونَ الحيضان بمنى للحجاج لكي يرتوا بالماء . أنتهى كلامه رحمه الله تعالى مختصراً .

قلت : سميت كتابي هذا (**بالتروية**) لكي يرتوي أخي المسلم وأختي المسلمة بالعلوم الشرعية والمسائل الفقية والعقدية)

(٤) ارجع إلى (**الفقه المختصر**)(كتاب الحج)(ص١٣١) كيف تؤدى مناسك الحج ؟

فقد حمد الله تعالى وأثناء عليه بما أهله وقال : ﴿ **أيها الناس اسمعوا قولي: فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً.**

أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغّت ◦ فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإنَّ كل رباً موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله.

وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مستوضعاً في بني ليث، فقتلته هُذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

أما بعد :

أيها الناس فإن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً ولكن أن يُطعْ فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم.

أيها الناس إن النسِيء[1] زيادة في الكفر يضل به الذين كفرو ، يحلونه عاماً

---

(١) ربا النسِيء مأخوذ من النسء، وهو التأخير، وهو نوعان :

أحدهما : قلب الدين على العسر، وهذا هو أصل الربا في الجاهلية أن الرجل يكون له على الرجل المال المؤجل ، فإذا حل الأجل ؛ قال له: أتقضي أم تربي ؟ فإن وفاه ، وإلا زاد في الأجل ، وزاد هذا في المال، فيتضاعف المال في ذمة المدين ، وكان الغريم معسراً ؛ لم يجز أن يقلب الدين عليه ، بل يجب إنظاره، وإن كان موسراً ؛ كان عليه الوفاء فلا حاجة إلى زيادة الدين مع يسر المدين ولا مع العسر.

النوع الثاني من ربا النسيئة : ما كان في بيع كل جنسين اتفقا في علة ربا الفضل مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما ، كبيع الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، وكذا بيع جنس بجنس من هذه المذكورات مؤجلا ، وما شارك هذه الأشياء في العلة يجري مجراه. انظر(المخلص الفقهي) (٢٩/٢) فقه العبادات القسم الثاني – للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان– حفظه الله –.

ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله.

وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر[١] الذي بين جماد وشعبان .

أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقاً، لكم عيهن أن لا يُوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبيّنة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرّح[٢] فإن انتهين فلهن رِزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلّغت؛ وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيّناً كتاب وسنة نبيّه.

أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعْلَمُنَّ أن كل مسلم أخٌ للمسلم، وأن المسلمين أخوة، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمنَّ أنفسكم، اللهم هل بلغت ؟!!!.

فقال الناس: اللهم نعم فقال رسول ﷺ: **﴿اللهم فاشهد ﴾.**

أيها الناس إن الله قد أدّى إلى كل ذي حق حقّهُ ، وإنه لا تجوز وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر، ومن أدَّعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يُقبل منه صرفاً ولا عدل ﴾.

وإنه ﷺ بعد أن زالت الشمس وصلى بالناس وخطبهم أتى جبل عرفه فوقف في سَفحه وقال : **﴿ وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف ﴾**[٣]

---

(١) قيل إنما ذلك لأن ربيعة كانت تحرم رمضان وتسميه رجباً فبيّن ﷺ أنه رجب مضر لا رجب ربيعة.

(٢) أي غير شديد فلا يكسر عضواً ولا يشين جارحة .

(٣) انظر (الفقه المختصر)(ص١٣٣) فقره (١٦٥) مصدر (٧٩).

ولما غربت الشمس، ركب إلى مزدلفة ، فوصلها بعد العشاء جمعاً وبات بها ، ولما طلع الفجر صلى الصبح، ووقف على جبل قزح وقال: ﴿ **وقفت هاهنا، ومزدلفة كلها موقف** ﴾ [1] ولما أسفر جداً أتى الجمرة فرماها ،ثم المنحر فنحر، ثم: ﴿ **نحرت هاهنا ومنى كلها منحر** ﴾ [2]

ثم أفاض من يومه وعاد إلى منى ، وبات بها ثلاث ليال يرمي الجمارات الثلاث بعد زوال كل يوم، يبدأ بالصغرى ، ويختم بالكبرى ، وخطب أيام منى وعلَّم كل ما الأمة في حاجة إليه إلى يوم الدين ، ولذى كانت هذه الحجة تسمى حجة البلاغ كما تُسمى حجة الوداع، لأنه ﷺ ودع أمته فيها إذا لم يحج بعدها، ﷺ يوم ولد ، ويوم دعا وجاهد، ويوم حج واعتمر. ويوم ودع ويوم مات فالتحق بالرفيق الأعلى في جنة عرضها السموات والأرض.

---

[1] المصدر السابق .

[2] المصدر السابق.

نتائج وعبر : إن لهذه المقطوعة من السيرة نتائج وعبراً منها :

(١) وقوع حجة الوداع بعد تطهير الحرم من الشرك والمشركين دالٌ على حصاد جهادٍ دام نيّفاً وعشرين سنة ، وفي هذا عبرة لمن يعتبر.

(٢) بيان أو وادي العقيق مبارك ، وأنه ميقات أهل المدينة إذ ذو الحليفة على شاطئه الأيمن .

(٣) مشروعية الإهلال بأيّ نسك من الأنساك الثلاثة ،الإفراد، والتمتع، والقِران.

(٤) بيان أن الحائض لا يمنعها الحيض من الإحرام، إذ تفعل كما يفعل الحاج إلا أنها لا تطوف حتى تطهر.

(٥) من مظاهر الرحمة المحمدية الإذن بفسخ الحج إلى عمرة ، تيسيراً وتسهيلاً على الأمة .

(٦) مشروعية الحرص على مخالفة اليهود والنصارى والمشركين ؛ إذ كان المشركون يعدون الاعتمار في أشهر الحج من أفجر الفجور، وكانوا يقولون: **إذا برأ الدبر، وعفا الأثر، وانسلخ صفر ، حلت العمرة لمن اعتمر** ، فلذا أمر النبي ﷺ أصحابه بالتحلل والاعتمار ولما تردد أصحابه في ذلك غضب أحتى أذعنوا لأمره وتحللوا رضي الله عنهم .

(٧) بيان باقي المانسك عمليّاً؛ إذ كان يقول: ﴿ **حجوا كما رأيتموني أحج** ﴾.

(٨) الإعلان عن حقوق المسلم، وأنه محرم الدم والمال والعرض.

(٩) الاعلام عن تحريم الظلم والربا، وكل عادات الجاهلية.

(١٠) الإعلان عن حقوق النساء، والأمر بالاعتراف بها وأدائها، وكذا حقوق الزوج على زوجته .

(١١) تحريم الوصيّة للوارث ، وتقرير قانون التوارث كما في القرآن الكريم.

(١٢) حرمة التبني والانتساب إلى غير الموالي.

(١٣) تقرير أن الولد ينسب إلى من ولد على فراشه، وأن العاهر لا حق له فيه، وإنما له الرجم بالحجارة إذا اعترف بالزنى.

أسئلة :

س١- ما أهمية حجة الوداع للأمة الإسلامية ؟

س٢- ما الكلمات التي أشعرت أن هذه الحجة هي آخر حجة له عليه الصلاة السلام ؟

س٣- لماذا سُميت حجة الوداع ؟

س٤- لماذا لم تطف عائشة بالبيت الحرام عندما دخلت لأداء العمرة ؟

س٥- ماذا قال لها النبي ﷺ عندما ذكرت سبب امتناعها عن الطواف بالبيت ؟

س٦- ما هي المحرَّمات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته ؟

س٧- ما هي حقوق الزوجين لبعضهما البعض كما بيَّنه رسول الله ﷺ في خطبته ؟

مرض الرسول محمد ﷺ ووفاته

بداية مرضه ﷺ :

في أوائل شهر ربيع الأول ، وفي يوم الأربعاء بالذات بدأ وجع الرسول ﷺ فأصابه صداع وحُمَّى. وقبل هذه البداية المؤلمة ببعض الأيام خطب ﷺ الناس فنعى نفسه وهم لا يشعرون. إذ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وقال : ﴿ **إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله** ﴾ (١) فبكى أبو بكر فعجب الناس من بكائه. بكى لأنه فهم المخير هو رسول الله ﷺ ، وقال ﷺ : ﴿ **إن من أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر ، ولكنت متخذاً خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ودعوته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سدَّ إلا باب أبي بكر**﴾ (٢)

وفي جوف الليل يوقظ رسول الله ﷺ مولاه أبا مُوَيَهبة ويقول : ﴿ **يا أبا مُويْهبَة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي** ﴾ ، فلما وقف بين أظهرهم قال : ﴿ **السلام عليكم يا أهل المقابر ليهنئكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها ، الآخر شر من الأولى** ﴾ (٣) ثم أقبل على أبي مويهبة وقال : ﴿ **يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة فخُيِّرتُ بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة**﴾

---

(١) ذكره ابن هشام في (السيرة النبوية)(٦٤٩/٢) من رواية إبن إسحاق بسنده . وقال الألباني في (فقه السيرة) صحيح.

(٢) المصدر السابق .

(٣) أخرجه مسلم والنسائي ، وأحمد .وانظر(الفقه المختصر من الكتاب والسنة المطهرة)(أحكام الجنائز)(ص٨٠)

مصدر (١٤٠) حيث ذكرت هناك بعض لفوائد الفقهية .والحمد لله على توفيقهوتيسيره.

فقال له أبو مويهبة بأبي أنت وأميّ فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها والجنة ، فقال : ﴿ لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة ﴾. ثم استغفر ﷺ لأهل البقيع ثم انصرف . فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قُبض فيه ، إذ دخل على عائشة بعد رجوعه من البقيع فوجدها تشكو صداعاً وتقول : وأرأساه ! فقال ﷺ : ﴿ بل أنا والله يا عائشة وارأساه !! ﴾ ثم قال لها : ﴿ وما ضرك لو متِّ قبلي فقمت إليك وكفنتك، وصليت عليك ودفنتك ﴾ فقالت عائشة والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك .عائشة رضي الله عنها : فتبسم رسول الله ﷺ [1] وتَتامَّ به وجعه ، وهو يدور على نسائه حتى استغفر به وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهنَّ أن يمرض في بيتي فأذِنَّ له.

تمريض النبي ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها :

وبعد أن أذن له أمهات المؤمنين في أن يُمرض في بيت عائشة رضي الله عنها خرج ﷺ يمشي بين رجلين من أهله هما العباس وعليّ وهو عاصب رأسه تخط قدماه حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها ، ثُمَّ حُمَّى ﷺ واشتد به الوجع ، فقال: ﴿ هريقوا عليَّ سبع قرب من ماء حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم ﴾، قالت عائشة فأقعدناه في مخضب لحفصة بنت عمر ثم صبّ عليه الماء حتى طفِقَ يقول : ﴿ حسبكم حسبكم !! ﴾ ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم، ثم زاد مرضه فقال: ﴿مروا أبا بكر فليصل بالناس ﴾

---

(١) انظر (الفقه المختصر)(أحكام الجنائز)(ص٧٩) فقره(١٢١).

فقالت عائشة إن أبا بكر إذا قام مقامك لا يُسمع الناس من البكاء ، فمُرْ عمر فليصل بالناس ، وكررت عليه عائشة القول فكرر الإجابة حتى قالت عائشة لحفصة ، قولي له : إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ، فقالت له فقال ﷺ : ﴿ **مَه إنكن لأنتنّ صواحب يوسف ، مُروا أبا بكر فليصل بالناس** ﴾ فقام أبو بكر يصلي بالناس ، ووجد النبي ﷺ من نفسه خِفّةٍ فخرج بين رجلين العباس وعلي لصلاة الظهر فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه أن لا يتأخر ، وقال للرجلين : ﴿ **أجلساني إلى جنبه**﴾ فأجلساه إلى جنب أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله ﷺ وهو قاعد والناس يصلون بصلاة أبي بكر.

وفي مرضه هذا قال لعائشة : ﴿ **ما زلت أجد ألَمَ الطعام الذي أكلته بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم** ﴾[1]

ولما كان يوم الخميس وقبل وفاته ﷺ بأربع ليال اجتمع عنده ناس من أصحابه فقال : ﴿ **ائتوني بكتف** [2] **وداوة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً** ﴾ فتنازعوا عنده وأخذوا يردون عليه ، فقال : ﴿ **دعوني في الذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه** ﴾ ، وأوصاهم بثلاث: فقال: ﴿ **أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم** ﴾ وسكت عن الثالثة.

---

(١)يعني ﷺ الشاة المسمومة التي قدمت له بخيبر وأكل منها فلم تضره في ذلك الوقت. واستمر الداء كامناً حتى ظهر في هذه الأيام ، وقد مات أحد أصحابه لما أكل منها كما تقدم في فتح خيبر ، الأبهر عرق في الإنسان إذا انقطع هلك صاحبه. (صحيح البخاري)(٦٣٧/٢).

(٢) الكتف : لوح يكتب عليه.

ولما كان يوم الاثنين الذي قُبض فيه ﷺ والناس في صلاة الصبح وأبو بكر يصلي بالناس لم يفجأهم إلا ورسول الله يكشف ستر حجرة عائشة فينظر إليهم وهو صفوف في الصلاة ، ثم تبسّم يضحك ، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة ، وهَمَّ الناس أن يفتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ ، فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستار، وانصرف الناس وهم يرون أن النبي ﷺ قد أفاق من وجعه فرجع أبو بكر إلى أهله بالسنح. ولما ارتفع الضحى ، دعا النبي ﷺ فاطمة فسارها بشيء فبكت .ثم دعاها، فسارها بشيء فضحكت، وقالت عائشة، فسألنا عن ذلك –فيما بعد– فقالت : ساريني النبي ﷺ أنه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه ، فبكيتُ، ثم ساريني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت [1] وفي بعض الروايات المتقدمة على وفاته أنه بشر النبي ﷺ فاطمة بأنها سيدة نساء العالمين .[2]

---

(١)رواه البخاري (٢/٦٤٠)

(٢)(رحمة العالمين)(١/٢٨٢)

ورأت فاطمة ما برسول الله ﷺ من الكرب الشديد الذي يتغشاه، فقالت: واكرب أباه فقال : ﴿ ليس على أبيك كرب بعد اليوم ﴾ (١) ودعا الحسن والحسين فقبلهما ، وأوصى بهما خيراً ، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن.

وطفق الوجع يشتد ويزيد ، وأوصى الناس، فقال: ﴿ الصلاة وما ملكت أيمانكم ﴾، كرر ذلك مراراً. (٢)

الاحتضار :

وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة إليها ، وكانت تقول : إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفيَ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري ، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته.

دخل عبد الرحمن – بن أبي بكر – وبيده السواك ، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السوالك، فقلت: آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته، فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم – وفي رواية أنه استن بها كأحسن ما كان مستناً – وبين يديه ركوة فيها ماء ، فيجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه، يقول: ﴿ لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات ﴾ (٣)

---

(١)رواه البخاري (٢/٦٤١) .

(٢)رواه البخاري (٢/٦٤١) .

(٣)رواه البخاري (٢/٦٣٨، ٦٣٩ ، ٦٤٠،٦٤١) باب آخر ما تكلم النبي ﷺ.

وما عدا أن فرغ من السواك حتى رفع يده أو إصبعه ، وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفتاه ، فأصغت إليه عائشة ، وشخص بصره نحو السقف ، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة وهو يقول : ﴿ **مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، اللهم اغفر لي وارحمني ، وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى** ﴾ [1]كرر الكلمة الأخيرة ثلاثاً ، ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقع هذا الحادث حين اشتدت الضحى من يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ .

وقد تم له ﷺ ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام.

اشتداد الكرب على الصحابة رضي الله عنهم :

وما أن علم الناس بوفاة الرسول ﷺ حتى طاشت عقولهم ، وعمتهم الحيرة وأقعدتهم الدهشة وأظلمت الحياة في وجوههم ، حتى أن عمر على جلالته قام يحلف للناس بأن الرسول ما مات ، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع بعد أن قيل قد مات.

---

(١) المصدر السابق.

موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

جاء أبو بكر الصديق من السنح فدخل على رسول الله ﷺ فوجده مسجّىً في ثوب حِبرَة فكشف عن وجهه وقبله وبكى، ثم قال : بأبي أنت وأمي طِبتَ حيّاً وميّتاً، والذي نفسي بيده لا يُذيقك الله الموتتين أبداً، ثم خرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى أن يجلس فأقبل الناس عليه وتركوا عمر.

فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وقال:

أما بعد: فمن كان يعبد محمداً فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ، وقال عز وجل : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[الزمر:٣٠] وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤] ، فنشج الناس يبكون، قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقّاها الناس من كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.[1]

---

(١) انظر(هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم يا محب) لأبي بكر جابر الجزائري – حفظه الله وبارك في عمره (ص٤٧٧) ،(الرحيق المختوم) لصفي الرحمن المباركفوري (ص٥٥٥)،(السيرة النبوية)(٢/٦٥٥- ٦٥٦)،(البداية والنهاية)(٥/١٦٣) لابن كثير الدمشقي.

غسل النبي ﷺ وكفنه ودفنه:

ولما فرغ الصديق وفرغ الأصحاب من البيعة، وبويع لأبي بكر الصديق بالخلافة لرسول الله ﷺ على أمته أقبلوا على تجهيز الحبيب ﷺ فتولى غسله آل البيت وهم **علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل وقثم ابنا العباس، وأسامة وشقران** يصّبان الماء وعلي يغسله بيده فوق ثيابه، فلم يفض بيده إلى جسده الطاهر قط فلم ير من رسول الله ﷺ ما يرى من الميت ، وكان علي يغسله ويقول بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً وكفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب ، ثوبين صُحارِيَّيْن وبُرْدٍ حِبرَة ليس فيها قميص ولا عمامة [١] أُدرِجَ فيها إدارجاً.

ومن آيات نبوته ﷺ أنهم اختلفوا هل يُغسلونه كما يغُسل الرجال بأن يُجرّد من ثوبه، فأخذهم النوم وهم كذلك ، وإذا بهاتف يقول : غسّلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابُه ففعلوا، ولما رادوا دفنه اختلفوا في موضع دفنه ، فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :﴿ **ما قُبِضَ نبيّ إلا دُفِنَ حيث قُبض** ﴾ فرفع أبو طلحة فراشه الذي تُوُفي عليه ، فحفر تحته ، وجعل القبر لحداً.[٢]

---

(١) رواه البخاري ومسلم وانظر ، المصدر السابق .

(٢) انظر كتابي (الفقه المختصر)(ص٧١) فقره(٨١) حيث تم تخرجه هناك فانظره لزاماً ، مصدر رقم(٨٨)

ودخل الناس الحجرة أرسالا عشرة فعشرة، يصلون على رسول الله ﷺ ولا يؤمهم أحد، وصلى عليه أولاً أهل عشيرته، ثم المهاجرون، ثم الأنصار ، وصلت عليه النساء بعد الرجال، ثم صلى عليه الصبيان، وكان الذي نزل في قبره علي بن أبي طالب، والفضل وقثم ابنا العباس وشقران، وأثناء ذلك قال أوس بن حولي الأنصاري لعليّ: أنشدك الله وحظَّنا من رسول الله ﷺ فأذن له بالنزول في القبر معهم فنزل، وسووا عليه التراب ورفعوه مقدار شبر عن الأرض.

وقبض رسول الله ﷺ ولم يخلف من متاع الدنيا ديناراً ولا درهماً ، بل مات ودرعه مرهونة في كذا صاعاً من شعير فصلى الله عليه وسلم يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً.

خاتمة القول:

إن دراسة السيرة النبوية تُحقِّقُ للمسلم فوائد عظيمة وهي تكون للمسلم[1]

- هي المثل الأعلى للإنسان الكامل في صورته وسيرته وسريرته، وجميع أحواله وذلك ما ينشده كل إنسان: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

- أن حياة الرسول ﷺ وأصحابه هي التطبيق العملي لأحكام الإسلام الواردة في القرآن والسنة، والتعرف على ذلك ودراسته عبادة من العبادات:﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧]

- أن الاقتداء بالرسول ﷺ في نيته وأقواله وأعماله وأخلاقه واجب شرعي، ولا يتم تحقيق هذا الاقتداء إلا بمعرفة سيرته وسنته، وأخلاقه وشمائله، ودلائل نبوته، وأحواله في كل شأن: ﴿ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]

- أن اتباع الرسول ﷺ والاقتداء به قلباً وقالباً دليل على محبة العبد لربه، وثمرتها حب الرب لعبده: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١]

---

(١) جميع هذه الخاتمة من كتاب (السيرة النبوية بين المعرفة والواجب في ضوء القرآن والسنة – تأليف الشيخ/محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري- حيث أُهدي لي هذا الكتاب من المسجد الحرام –بتاريخ (٢٨/رمضان١٤٣٩هـ- ٢٠١٨/٦/١٢م) وأضفت هذا لخاتمة متأخراً عندما قمت بصف الكتاب في الحاسوب. مع تصرف يسير.

أن معرفة ما حفلت به سيرة النبي ﷺ من مواقف إيمانية، وأخلاق كريمة، تقوي عزيمة المؤمن، وتسكب في قلبه الطمأنينة، وترغبه في محاسن الأقوال، والأعمال، وتفتح له أبواب الأجر والثواب: ﴿ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧١]

إن في السيرة النبوية دروساً لجميع فتات الناس، ومواساة لهم في كافة أنواع الابتلاءات التي تصيبهم، والتي تتطلب الصبر، خاصة الدعاة إلى الله والعلماء والحكام: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۞وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ [الطور:٤٨-٤٩]

أن في دراسة سيرة النبي ﷺ عوناً على فهم كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤]

أن دراسة السيرة النبوية كثيراً من العبر والعظات يتعظ بها الحاكم والمحكوم ، فيعرف كل من تحثه نفيه بالظلم والجبروت والكبرياء مآل من اتصف بهذه الصفات : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:١١٢]

أن سيرة النبي ﷺ كنز عظيم للعلوم من عقيدة وأحكام، ودعوة وتعليم، وسياسة وجهاد، وآداب وأخلاق:﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢]

- بيَّن الله في القرآن أصول الدعوة إلى الله، وأصول دعوة الأنبياء، وما يتطلب لذلك من الصبر والبذل والتضحية بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الله.

ثم بيَّن ذلك رسول الله ﷺ عملياً حتى صار أعداؤه أولياءه: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٤-٣٥]

- أن معرفة أسباب نزول الآيات القرآنية، ومعرفة علم الناسخ والمنسوخ، ومعرفة المعجزات والآيات التي أجراها الله علي يد الرسول ﷺ ، لا يمكن معرفته وفهمه إلا في ضوء معرفة سيرة النبي ﷺ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم:٣-٤]

- أن خصائص النبي ﷺ لا تُعرف إلا في ضوء معرفة سيرته، وأصول الإيمان والدعوة والتعليم والأحكام لا يمكن معرفتها من الناحية العلمية والعملية إلا من خلال سيرته ﷺ : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران:١٦٤]

وأعظم مصادر سيرة النبي ﷺ هو القرآن الكريم ، الذي بيَّ، الله فيه السيرة النبوية قبل البعثة وبعدها، وقبل الهجرة وبعدها : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:٨٩]

وحتى تكتمل الاستفادة من القرآن الكريم لمعرفة سيرة الرسول ﷺ لا بد من أمرين: **الأول**: الرجوع إلى كُتب التفسير بالمأثور المعتبرة لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ وغير ذلك.

الثاني: الرجوع إلى كُتب السنة المعتبرة التي عنيت بجمع أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته، وصفاته الخلقية والخُلقية كصحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد، وكتب السنن الأربع والجوامع الصحيحة، وكُتب المناقب، وكُتب الشمائل، وكتب دلائل النبوة، وكتب المغازي والسير، وغيرها من المصادر الإسلامية الموثوقة.

وبهذا يكون عند طالب العلم مَلَكة في معرفة سنة نبيه ﷺ. وذلك بالاستمرار في القراءة والمطالعة والتحرير.

والله أعلم.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ضوابط السيرة النبوية ومراجعها.....	١
العلماء الذين اعتنوا بتدوين السيرة.....	٥
أهل الحديث اعتنوا بكتابة السيرة من جهتين.....	٨
خلاصة ما تقدم: تاريخ تدوين السيرة النبوية.....	١١
نسبه ﷺ	١٤
طلوع الفجر المحمدي أو الميلاد السعيد ﷺ.....	١٤
اسئلة.....	١٦
نتائج وعِبَر.....	١٧
أسئلة.....	١٧
الحمل	١٨
والميلاد.....	١٩
نتائج	١٩
وعِبَر.....	٢٠
الأسئلة.....	٢٠
وفاة والد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه وجده.....	٢١
رضاعه صلى الله عليه وسلم	٢٤
قصة رضاعته من السيدة حليمة السعدية.....	٢٥
نتائج وعِبر.....	٢٦
أسئلة.....	٢٧
في أسمائه	٢٩
كفلاء الحبيب ﷺ وحاضنته.....	٢٩
نتائج وعِبَر.....	٣١
أسئلة.....	٣٢
نشأته ﷺ وخروجه مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بحيرة الراهب، وزواجه من خديجة.....	٣٢
كيف كان يتيماً فأوه الله وعائلاً فأغناه.....	٣٣

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
نتائج وعبر لهذا المظهر.....	٣٣
الأسئلة.....	٣٣
حرب الفجار.....	٣٤
حلف الفضول.....	٣٤
نتائج وعبر لهذا المظهر.....	٣٦
حياة الكدح والعمل.....	٣٧
الأسئلة.....	٣٧
زواجه ﷺ خديجه رضي الله عنها.....	٣٨
نتائج وعبر.....	٣٩
الأسئلة.....	٣٩
بناء الكعبة وقضية التحكيم.....	٤٠
الأسئلة.....	٤١
دنو ساعة طلوع الشمس المحمَّدية وظهور نور الإسلام.....	٤٢
طلوع الشمس المحمَّدية.....	٤٢
نتائج وعبر.....	٤٥
شمس نور الإسلام تُضيء دار خديجة وعلى ورقة بن نوفل	٤٦
نتائج وعبر.....	٤٧
الأسئلة.....	٤٧
فترة الوحي.....	٤٨
نتائج وعبر.....	٤٩
الأسئلة.....	٤٩
دعوته ﷺ السرية خلال الثلاث السنوات الأولى.....	٥٠
نتائج وعبر.....	٥١
الأسئلة.....	٥١
إيلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأثره في الدعوة.....	٥٢

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
نتائج وعبر	٥٣
الأسئلة.....	٥٣
أفواج السابقين بعد الأولين.....	٥٤
نتائج وعبر.....	٥٦
الأسئلة.....	٥٦
الدعوة جهاراً.....	٥٧
نتائج وعبر.....	٦٠
الأسئلة.....	٦٠
قصة إسلام حمزة.ﷺ	٦١
قصة إسلام عمر بن الخطاب ﷺ	٦٢
عروض قريش لتي قدمتها على الرسول ﷺ ليصدوه عن دعوته.....	٦٣
ما أشار به عتبة على أصحابه.....	٦٤
محاولة أبو جهل الفاشلة.....	٦٥
وفد قريش إلى أبي طالب.....	٦٧
اجتماع المشركون لتشويه الرسالة المحمدية وذلك لكف الحجاج عن استماع الدعوة.....	٦٧
أساليب شتى لمجابهة الدعوة.....	٦٩
نتائج وعبر.....	٧٠
أسئلة عامة لما سبق ذكره من (ص٦١-٧٠)	٧١
خيبة المشركين تتحول إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين.....	٧٢
نتائج وعبر.....	٧٤
الأسئلة.....	٧٣
المستهزئون بالحبيب محمد ﷺ وما أنول الله بهم من أليم العذاب.....	٧٥
نتائج وعبر	٧٨
الأسئلة.....	٧٨
أول هجرة للمسلمين إلى الحبشة.....	٧٩
نتائج وعبر.....	٨٣

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الأسئلة	٨٣
هجرة أبي بكر الصديق الأولى.....	٨٤
نتائج وعبر.....	٨٥
الأسئلة.....	٨٥
مقاطعة بني هاشم وبن المطلب في الشعب.....	٨٦
نتائج وعبر.....	٨٩
الأسئلة.....	٨٩
عام الحزن ووفاة أبو طالب.....	٩٠
وفاة خديجة رضي الله عنها.....	٩٢
نتائج وعبر.....	٩٢
الأسئلة.....	٩٢
عوامل الصبر والثبات عند الرسول ﷺ وأصحابه.....	٩٣
دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام خارج مكة.....	٩٤
نتائج وعبر.....	٩٧
الأسئلة.....	٩٨
الإسراء والمعراج.....	٩٩
كبف بدأ الإسراء والمعراج.....	٩٩
ملخص الإسراء والمعراج.....	١٠٣
نتائج وعبر.....	١٠٤
أسئلة.....	١٠٤
لطائف أمور قبل هجرة الحبيب ﷺ	١٠٥
مراجعة.....	١٠٧
هجرة الحبيب الطيب محمد ﷺ إلى طيبة الطيبة.....	١٠٩
بداية الهجرة من الدار إلى الغار.....	١١٢
في الطريق إلى المدينة.....	١١٥
نتائج وعبر.....	١٢٣
أسئلة.....	١٢٣
النزول بقباء.....	١٢٤
نتائج وعبر.....	١٢٦

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
أسئلة.....	١٢٦
الدخول في المدينة.....	١٢٧
بناء المسجد النبوي الشريف.....	١٢٩
جهود الرسول ﷺ في الإصلاح والتأسيس والبناء بالمدينة النبوية.....	١٣١
نموذج مصغَّر من تلك المؤخاة.....	١٣٥
نتائج وعبر.....	١٣٦
الأسئلة.....	١٣٧
غزوة بدر الأولى.....	١٣٨
غزوة بدر الثانية.....	١٣٨
في معسكر الإسلام.....	١٤٣
التقاء الفريقين	١٤٤
المبارزة قبل الالتحام.....	١٤٥
دنو العدو.....	١٤٧
آية محمدية.....	١٥١
عدد من حضر بدراً من المهاجرين والأنصار.....	١٥٢
قضية الأسرى.....	١٥٣
أسئلة.....	١٥٥
هجرة زينب رضي الله عنها.....	١٥٥
إسلام الشيطان عُمر بن وهب.....	١٥٦
أسئلة.....	١٥٨
شرف أهل بدر.....	١٥٩
أسئلة.....	١٦٣
غزوة مؤتة وأسبابها.....	١٦٤
امراء الجيش ووصية رسول الله ﷺ إليهم.....	١٦٤
توديع الجيش وبكاء عبد الله بن رواحة.....	١٦٤
تحريك الجيش الإسلامي، ومباغتته حالة رهيبة.....	١٦٤
تشجيع عبد الله بن رواحة الناس.....	١٦٥
إخبار النبي ﷺ بالوقعة.....	١٦٧

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
امرأة جعفر تحدث.....	١٦٨
نتائج وعبر.....	١٦٨
أسئله.....	١٦٨
حجة الوداع والبلاغ.....	١٦٩
نتائج وعبر.....	١٧٥
أسئلة.....	١٧٦
مرض الرسول ﷺ ووفاته.....	١٧٧
بداية مرضه ﷺ	١٧٧
تمريض النبي ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها.....	١٧٨
الاحتضار.....	١٨١
اشتداد الكرب على الصحابة رضي الله عنهم.....	١٨٢
موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه.....	١٨٣
غسل النبي ﷺ وكفنه ودفنه	١٨٣
خاتمة القول	١٦٨
فهرس الموضوعات.....	١٩٠